منتدى التوحيد

الجواب عن سؤال الشر

إعداد

اللجنة العلمية بمنتدى التوحيد



المحتويات



مقدمة

إعداد/

اللجنة العلمية بمنتدى التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

✍ الحمد لله الذي خلقنا في أحسن صورة، ووهبنا العقل لنعرفه تعالى به، ونفهم عنه صفاته وأسمائه الحسنى التي ارتضاها لنفسه وتعرفنا بها على عظمته سبحانه وتعالى..

❀ إن الحديث عن صفات الله تعالى من أروع الأحاديث على الإطلاق، ففهمها والتعمق في جلال وجمال معانيها يزيل عن العقول والبصائر الواعية إشكالات كثيرة وعظيمة تواجه الإنسان في مسيرة حياته وأحداثها التي قدرها الله تعالى عليه..

⇦ وحيث أن من جهل شيئًا عاداه، فيكون هذا حال الملحد أو المُنكر الذي لم يتعرف إلى معاني أسمائه تعالى وصفاته جل وعلا، بل جاءت المطاعن دائمًا لتصرح بواضح القول وجلي الصورة الغلط العظيم الذي وصل بهؤلاء في التعامل مع أحداث الكون والأمور الحياتية التي تصاحب كل إنسان وكل تجمع بشري في كافة أرجاء هذه الأرض التي ذللها تعالى وعبدها وسخرها بإتقان لا نظير ولا ند له لخدمة هذا الكائن الظلوم الجهول بحقيقة خالقه وعظيم قدره..!

✓ فتارة لا يعلم ما معنى عبادة الله تعالى وما أهمية طقوسها، بل وما أهميتها لله تعالى الغني عن العالمين، وهو بهذا جهل التكوين الإنساني وجبلّة الخلقة النفسية لهذا البشري تمامًا، وما علم لا باستقراء ولا بنظر ثاقب لما حوله ولما يصلحه أو يضره ما الفائدة التي تعود على الإنسان لمجرد قيامه بهذه الأوامر الإلهية التي ما فرضها رب الناس وخالق الخلق أجمعين إلا لمصلحة الخلق، ولتعود على الإنسان نفسه بالفائدة والاقتراب من الكمال، وليس لله بها حاجة جل شأنه تعالى..



⇦ ومن ضمن هذه المغالطات وقلة العلم والفهم عن الله تعالى، إشكالية وجود الشرور في هذا العالم، والتساؤل عن كون الإله المتصف بالرحمة قد أجاز وجود كل هذا الشر والبلايا والرزايا التي تقع على البشر في هذا الكون وعلى مدى الأزمان والعصور..



✓ ووجد هؤلاء المنكرون أن صفة الرحمة تتناقض مع ما هو مشاهد من كل صور الشرور حولنا، من زلازل وبراكين ومجاعات وأمراض وفتن وقتل واغتصاب وأمور تأنفها النفس البشرية السوية، ويتألم لها كل ذي قلب نقي، إذن أين الله تعالى الرحيم من هذا..؟ وهل مايحدث خارج عن إرادته تعالى جل شأنه وعظمت قدرته..؟ أم أنه أراده وقبله وسهل حدوثه وبذلك نتشكك في صفة الرحمة التي وصف بها الله تعالى جل وعلا نفسه..؟!

✓ هذه الإشكالية لا يقع بها المؤمن، لماذا..؟ لأن الإنسان المؤمن يعلم معاني أسماء الله تعالى وصفاته، ويؤمن بها إيمانه بالله الذي سمى نفسه ووصف ذاته سبحانه وتعالى بها..

✓ وعلم أن لله في كل أفعاله حكمة لا يدركها الخلق على وجه التفصيل، وقد يدركون بعضًا منها، لكنهم لا يحيطون بها وبكل أبعادها، لماذا..؟ لأن علم الإنسان قاصر محدود، فكيف يستطيع مثلًا أن يحكم على فعل ما بأنه شر بينما من الممكن أن تكون نتائجه وتوابعه في المستقبل تؤدي إلى خير أعظم وأكبر بكثير..؟

وبما أن هذه النتائج والتوابع مستمرة في المستقبل ولا يمكن تحديد نهايتها أو وقت انقضائها، فلا يمكن فعلًا أن يحكم الإنسان محدود العلم على أمر ما بأنه شر إلا إذا أحاط بكل شيء علمًا.

✎ ورد في بعض الإسرائيليات أن موسى عليه السلام خرج يومًا لمناجاة الله سبحانه، ثم سأل ربه قائلًا: يارب كيف يأخذ الضعيف حقه من القوي..؟

✿ قال له ربه سبحانه: اذهب بعد العصر إلى مكان كذا... في يوم كذا... لترى وتعلم كيف يأخذ الضعيف حقه من القوي.

✓ ذهب موسى إلى المكان فرأى شلالًا من الماء يخرج من جبل.. جلس موسى ينظر متفحصًا متأملًا فإذا بفارس يأتي راكبًا ناقة له يريد الماء، نزل الرجل عن ركوبته وخلع حزامه الذي كان يعيق حركته أثناء وروده للماء ووضعه على جانب قريب منه، شرب الفارس واغتسل ثم انصرف ناسيًا حزامه الذي وضعه في مكانه.

⇦ جاء غلام صغير راكبًا حمارًا إلى شلال الماء، واغتسل وشرب أيضًا، ثم حمد الله تعالى، وعندما أراد الانصراف وقعت عينه على حزام الفارس الذي كان قد نسيه بجوار شلال الماء، فتح الغلام الحزام، فإذا هو ممتلئ بالذهب والأموال والمجوهرات النفيسة، أخذه وانصرف.



✓ وبعد قليل، أقبل على الماء أيضا شيخ عجوز ليشرب ويغتسل، وبينما هو كذلك، جاء إليه الفارس الذي نسي حزامه عند شلال الماء مسرعًا، يبحث عن حزامه فلم يجده، سأل الفارس الشيخ العجوز: أين الحزام الذي تركته هنا..؟ أجاب الشيخ: لا أعلم ولم أر هنا حزامًا.. أشهر الفارس سيفه وقطع رأس الشيخ العجوز.

❀ كان سيدنا موسى ينظر ويتأمل ويفكر، قال يا رب: إن هذا الفارس ظلم عبدك الشيخ العجوز.. قال له ربه: تأدب يا موسى، أما الشيخ العجوز فكان قد قتل أبا الفارس، وأما الغلام فكان أبوه قد عمل عند أبي الفارس عشرين سنة ولم يعطه حقه..

✓ فالفارس أخذ بحق أبيه من الشيخ العجوز، والغلام أخذ بحق أبيه من الفارس، وسبحان من سمّى نفسه الحقّ ولا تضيع عنده المظالم.

✍ القصتان التاليتان رواهما الشيخ النابلسي، ونقلهما لنا عنه أخونا [محب أهل الحديث]، فرأينا نقلهما هنا للفائدة مع بعض التصرف اليسير: رجل استوقفني في أحد أسواق دمشق، وذكر لي عن رجل خرج من بيته لدكانه ليكسب قوت أولاده.. كان هناك مشاجرة بين اثنين في أحد الأسواق.. فتح دكانه، سمع إطلاق رصاص.. فمد رأسه.. فإذا برصاصة تصيبه في النخاع الشوكي..! ويصاب بالشلل فورًا..!

⇦ ماذا قال لي هذا الأخ..؟ قال لي: أنت تخطب في الجامع النابلسي، قلت له: نعم، قال: فسر ذلك، ماذا فعل هذا..؟!! نزل من بيته ليكسب رزق أولاده فما ذنبه حتى يصاب بالشلل..؟ قلت: والله لا أدري..!!.. وليس من الممكن أن أدري..!!.. هذه أفعال الله عز وجل له حكمة.. أنا أعرف الحكمة العامة.. أن كل أفعاله إما رحمة.. وإما حكمة، وعدل، ولطف..! أما تفسير هذا لا أعلم....

✓ وشاءت حكمة الله أن يلتقي بي أخ كريم يسكن في أحد أحياء دمشق، ويذكر لي قصة ما عرضًا، وهو لا يدري ماذا حصل معي، فقال لي: لنا جار معه مال لأولاد أخيه الأيتام، وقد اغتصب هذا المال منهم، ورفض أن يؤديه لهم، ماذا يفعلون..؟ شكوه إلى أحد علماء دمشق توفي رحمه الله..

✓ فجمع العم مع أولاد الأخ، وصار يقنع العم بأداء ما عليه لأولاد أخيه، فرفض العم أشد الرفض، انزعج الشيخ فالتفت إلى أولاد الأخ وقال: يا بني.. هذا عمكم.. لا يليق بكم أن تشتكوا.. وكان المبلغ ضخمًا.. المبلغ يساوي ثمن بيت، وهم بلا بيت، قال: يا بني لا ينبغي أن تشكوا عمكم إلى القضاء هذا لا يليق بكم، ولكن اشكوه إلى الله..

⇦ فقال لي هذا الأخ في اليوم التالي: له محل في أحد أسواق دمشق.. ونزل ليفتح محله، فسمع إطلاق رصاص.. فمد رأسه: فجاءت رصاصة فأردته مشلولًا.. هو نفسه..!





❀ هذا هو حال أكثر ما يراه الناس للأسف... العرض الأولي غير واضح: فعلًا إنسان بريء خرج من بيته ليفتح دكانه حتى يؤمن رزقًا لأولاده: عمل شريف، وعمل نبيل، وعمل مشروع، ما ذنبه أن يصاب بالشلل..؟! وذلك فقط لأنه مد رأسه ليرى ماذا يحدث..

✓ كل شيء بقدر، لكل شيء حقيقة: " لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ " ..[١]

✓ ومثل هذه القصة: قصة الخضر وسيدنا موسى يجب أن تكون نبراسًا لنا، إياكم أن تظنوا أنها قصة نقرأها للمتعة، نقرأها كي نستنبط منها حقيقة خطيرة: وهي أن الشيء الذي لم تدركه وغاب عن ذهنك، وجهلت حكمته، ولم تعرف مبرره، ولا مسوغه، ولا هدفه، ولا باعثه: ينبغي أن تستسلم فيه لله عز وجل، وأن تقيسه على مثل هذه القصص..

⇦ وهناك حوادث والله لا تنتهي، لكن المشكلة أقولها لكم: أن كل واحد منا بحكم علاقاته المحدودة وخبراته وأعماله، مطلع على قصتين فقط، ثلاث، أربع، خمس..

✓ ولكن على الحقيقة: كل الأحداث من أولها لآخرها في هذه الحياة أممًا وأفرادًا بما فيها الجزاء فيما بعد الموت: حكمة ما بعدها حكمة، عدل ما بعده عدل، رحمة ما بعدها رحمة..!!..

---

[١]) أخرجه أحمد والبزار والطبراني، من حديث أبي الدرداء..



وهذه قصة أخرى أذكرها كثيرًا..
وهي لأخ من إخواننا الآن غائب، له أب اشترى مع عمته بيتًا، هذا البيت اشتروه قبل عشرين سنة، بمئتي ألف، صار ثمنه بعد ذلك عشرين مليونًا..!!..

⌘ الأخ دفع نصف البيت عدًا ونقدًا، لكنه باسم أخته لأنها جمعية تعاونية، الأخت لما رأت البيت صار ثمنه عشرين مليونًا قالت لأخيها: أنت تأخذ مليونًا وتخرج..!!.. ليس لك في البيت شيء..!!.. توسل إليها، رجاها، فهو قد دفع نصف ثمن البيت، وعنده أربعة عشر ولدًا، أين يذهب بهم؟ وهو موظف ودخله محدود..!

✓ القصة طويلة.. أنا اطلعت عليها فقرة فقرة بحكم الأخ الذي بلغني... حيث في النهاية: استطاعت عمته أن تخرج أخاها من البيت والأولاد شُرّدوا بين أسرتين، والأغراض بالمستودعات، وشيء مأساوي..!!..

⇦ ولكن هذه العمة بعد حين، وبعد أن تملكت البيت: أصيبت بمرض خبيث..!!.. فجاء ابن أخيها وقال لي: عمتي هكذا أصيبت..!!.. تلك التي أخرجتنا من البيت وشردتنا، واغتصبت نصف ثمن البيت، قلت له: خيرًا إن شاء الله، وأنا بذهني أن هذا المرض قد يمتد لسنتين تقريبًا، وإذ به يفاجئني بعد ثلاثين يومًا فقط بأن عمته قد ماتت..!!!..

✓ وذهبت بنفسي لإلقاء كلمة في البيت إكرامًا لابن أخيها.. وكان البيت فخمًا جدًا وكبيرًا، ولكن: من هو وريثها الوحيد..؟!!.. هو أخوها وأولاد أخيها..! فعادوا إلى البيت..!

✓ يعني هذه هي آخر الأحداث التي قد تغيب على مَن عرف أولها فقط أو شاهدها من وسطها..! فهذه المرأة الظالمة لنفسها: أصيبت بمرض خبيث: أقض مضجعها..! آلمها ظلمها..!

❁ وليس معنى ذلك أن كل واحد معه مرض: مذنب، لا.. إياكم أن تفهموا هذا الكلام..! فهناك المبتلى الصابر وغيره..! ولكن هلا لاحظتم معي كيف أمرضها الله في شهر واحد فقط: ثم صارت تحت أطباق الثرى: لتبدأ المعالجة هناك، والحساب هناك..؟!

✍ فكل واحد منا يعرف قصة، قصتين، ثلاث، أربع، خمس، من أولها لآخرها.. ثم هو يسمع عن مئة ألف قصة يجد فيهم مصائب، وفقر، وذل، وفقد حرية، ومشكلات، وطلاق، وخيانات: فهذه القصص إخواني: لا ينبغي لك أن ترويها هكذا وتستخرج منها أحكامًا نهائية بإطلاق: إلا إذا عرفت كل فصولها بعد..!! قسها على هذه القصص.. وعلى قصص الخضر مع موسى عليه السلام في سورة الكهف: خرق السفينة، قتل الغلام، وبناء الجدار..!!

⇦ فمؤدّى مثل هذه القصة في النهاية: هو أن نحسن الظن بالله تعالى، وأن نستسلم له، وأن نعلم أن أفعال الله كلها خير وحكمة وعدل ولطف، وأن الله عز وجل: ماذا يفعل بعذابنا إن شكرنا وآمنّا..؟!!.. هو الغني سبحانه...



✓ إن أي مطلع جليٍّ ينظر إلى أي حادث يحدث له أو أمامه أو لغيره بعين البصيرة العاقلة ليعلم كم من شرورٍ في هذا العالم أنتجت خيرًا كثيرًا، وكم من مصيبة جاءت لإنسان أقامت له حياته وأحسنت في خط سيره نحو النتيجة النهائية لامتحان واختبار الحياة الدنيوية القصير..!

❁ كل منا مر بتجربة قاسية وشر محض من الرؤية البشرية القاصرة، وتبين له لاحقًا خيرية هذا الشر وما وراءه..؟ حتى من مات في خضم هذا الشر الله تعالى وحده وأولي العلم عنه يعلمون ما أعد الله تعالى لمن ظلم ولمن قتل ولمن مرض وصبر ولمن فقد عزيزًا واحتسب، كل شرور هذا العالم صدقًا هي خير كبير، فقط لننظر لها بعين البصيرة الحقة ولا نجعل النظر فيها محدودًا بالشر نفسه ولا ننظر حوله.

✍ نرجو الله أن ينفع القارئ بمقالات هذا الكتاب، وهي جهدنا المحدود، ونسأل الله أن يجلي بصيرة كل أعمى، ويزيل الغشاوة عن القلوب.. اللهم آمين..!

❁ مع خالص تحياتنا ودعواتنا الصادقة المخلصة..

اللجنة العلمية بمنتدى التوحيد





أولًا

وجود الشرور في العالم...
مناقشة فلسفيّة منطقيّة

الكاتب/ د. هشام عزمي

تعتبر قضية وجود الشر في العالم من أكثر القضايا حضورًا وتأثيرًا في الفلسفة الإلحادية، ويرى العديد من الفلاسفة الملاحدة والمتشككين عبر التاريخ أن وجود الشر يمثل إشكالاً عسيرًا أو تناقضًا لا يمكن رفعه للمؤمنين بوجود الله..

فها هو ديفيد هيوم David Hume يقول:

"وما زال السؤال القديم الذي طرحه إبيقور Epicurus بدون إجابة: هل هو يريد منع الشر لكنه لا يقدر؟ إذن هو عاجز.. هل هو قادر لكنه لا يريد؟ إذن هو بغيض.. هل هو قادر ويريد معًا؟ إذن هو شرير"..[١]

كذلك يرون أنه من غير المنطقي أن يجمع المرء بين إيمانه بوجود الله وكمال صفاته واعتقاده بوجود الشرور في العالم، يقول ماكلوسكي H. J. McCloskey :

"يعتبر الشر مشكلة للمؤمن من جهة أن هناك تناقضًا بين حقيقة وجود الشر من جهة والإيمان بكمال الله Perfection of God وعدم محدودية قدرته mnipotence من الجهة الأخرى"..[٢]

---

[1]) David Hume. Dialogues Concerning Natural Religion, part 10

[2]) H. J. McCloskey "God and Evil", Philosophical Quarterly، Vol. 10, No. 39. (Apr.,1960), p. 97



⇦ ويقول ماكي J. L. Mackie :

"مشكلة الشر – بالمفهوم الذي سأستعمله هنا – هي مشكلة فقط لمن يؤمن بوجود إله مطلق القدرة Omnipotent ومطلق الخيرية Wholly Good ، وهي مشكلة منطقية logical في التوفيق بين عدد من الاعتقادات، وليست مشكلة علمية scientific يمكن حلها بالمزيد من الملاحظة العلمية أو مشكلة عملية practical يمكن حلها بقرار أو إجراء عملي".[1].

✓ ويتكلم غيرهم من الفلاسفة الملحدين بنفس المنطق؛ فمن وجهة نظرهم فالاعتقاد بوجود الله ووجود الشر يشتمل على تناقض، لكن هذا التناقض ليس مباشرًا، بل هو يحتاج إلى بيان عدد من المقدمات يمكننا أن نضعها بالترتيب:



1) J. L. Mackie “Evil and Omnipotence”, Mind, New Series, Vol. 64, No. 254. (Apr., 1955), p. 200

هذه المقدمات الخمس صحيحة ومتفقة مع اعتقاد المؤمنين بالأديان عمومًا، ويرى منظّرو الإلحاد أنها متناقضة، لكن نظرة سريعة إليها تكشف أن هذه المقدمات ليست متناقضة نظريًا، ولإثبات تناقضها فالمسألة بحاجة إلى إضافة المزيد من المقدمات،[١] لكن أي مقدمة ستتم إضافتها لابد أن تكون واحدة من ثلاثة أمور..[٢]:

- ❖ أن تكون حقيقة واقعة.
- ❖ أن تكون جزءًا من اعتقاد المؤمن، فلا يمكن أن تحتج على المؤمن بأمر لا يعتقده ولا يعتقد صحته.
- ❖ أن تكون لازم اعتقاد المؤمن، حتى إن لم يعتقدها مباشرةً لكنها تلزمه عقلًا.

وفي هذا الصدد يقترح ماكي J. L. Mackie مقدمتين إضافيتين لإبراز التناقض:[٣]

6. أن الخير عكس الشر، بحيث أن الخير يمحو الشر كلما كان هذا في استطاعته.
7. أنه لا يوجد ما يعجز كامل القدرة Omnipotent عن عمله.

---

١) المرجع السابق

2) Alvin Plantinga, God and Other Minds, Cornell University Press. (1975), p. 117

3) J. L. Mackie, op. cit., p. 201

✓ هنا يصح وقوع التناقض؛ لأنه إن كان الله كله خير ويمحو الشر بقدرته، وهو في نفس الوقت لا يعجزه شيء، فالنتيجة الحتمية لهذا هي عدم وجود الشر، وهذا عكس المقدمة رقم (٥) التي تقرر أن الشر موجود وليس معدومًا.

⇦ لكن الحقيقة أن المؤمن لا يقبل المقدمتين (٦) و(٧) اللتين وضعهما ماكي، فالمقدمة (٧) التي تقرر أنه لا يوجد ما يعجز الله عن عمله لا تصف بدقة اعتقاد المؤمن..



فالله القدير لا يعجز عن أي شيء ممكن عقلاً، أما المستحيلات العقلية أو الأمور ممتنعة الوجود فليست من مقدورات الله سبحانه وتعالى مثل أن يقتل الله نفسه أو أن يخلق كائنًا حيًا وميتًا في نفس الوقت، وبنفس الاعتبار فهذه الأمور وأمثالها مستحيلة الوجود لاشتمالها على تناقض يمنع إمكانية تصورها فضلاً عن وجودها.

⇦ كذلك المقدمة (٦) أن الخيّر كامل الخيرية يمحو أي شيء فيه شر ليست مطابقة للواقع؛ فالطبيب الخيّر مثلاً قد يرى أن بتر عضوٍ ما شرٌ لكنه يقدم عليه حتى يحصل خيرًا أكبر وأعظم، وهو إنقاذ حياة مريضه، فارتكاب الخيّر لبعض الشرور بغرض تحصيل الخير الأكبر لا يقدح في خيريّته، بل يؤكدها، لكنه بشرط أن تكون محصلة الخير أكبر من الشر.

✍ طبعًا سيعترض البعض أن تشبيه الله بالطبيب في هذا المقام لا يصح لأن الله قادر على توصيل الخير دون شر، لكننا هنا نتكلم عن مقام تعريف الشخص الخيّر وهل يمكن أن يرتكب شرًا أم لا، ونحن نسعى هنا لإثبات حقيقة أن الخيّر عمومًا يمكنه أن يرتكب شرًا

– فضلاً عن أن يسمح به – لكي يحصّل خيرًا أكبر.. وحصيلة هذا الكلام أن الخيّر قد يرتكب فعلاً مركبًا من خيرٍ وشرٍ شريطة أن يكون الخير أكبر وأعظم، أو أن توجد علاقة سببية بين الخير والشر فيكون الشر سببًا إلى خيرٍ أكبر وأعظم..

✍ هنا قد ينشأ اعتراضٌ بأن الإنسان العاجز قد لا يقدر فعلاً على توصيل الخير إلا عن طريق الوقوع في الشر الاضطراري، إنما الله القدير ليس لديه هذا العجز ولا الاضطرار.. وهذا الاعتراض مبني على الجمع بين المقدمتين (٦) و(٧)، لكن المؤمن يمكنه أن يرد عليه بأن الخير الناتج عن الشر القليل أو الحاصل معه أكبر وأعظم من الخير المحض، وأن في عدم وقوع هذا الشر القليل تفويت لكثيرٍ من الخير الذي لا يمكن تحصيله إلا بهذا السبيل، وأنه إن كان لا يمكن الفصل بين الخير والشر في هذه العملية إما لوجود علاقة سببية أو تلازمية بينهما، فلا إشكال في وقوع الشر لحكمة أكبر وهي تحصيل خيرٍ أكبرٍ..

⇦ فإن اعترض الملحد بأن قدرة الله تحتم تحصيل الخير دون الاضطرار إلى وقوع الشر، كان الجواب هو أن هذا الخير إن كان يستلزم منطقيًا وعقليًا وقوع الشر، ولا يمكن تحصيل الأول بدون الثاني، وكانت أفعال الله لا يقع فيها التناقض مع العقل والمنطق، صار من المقبول وجود الشر في العالم بهذا الاعتبار شريطة أن يكون الخير في العالم أكثر وأكبر..

❀❀❀❀❀

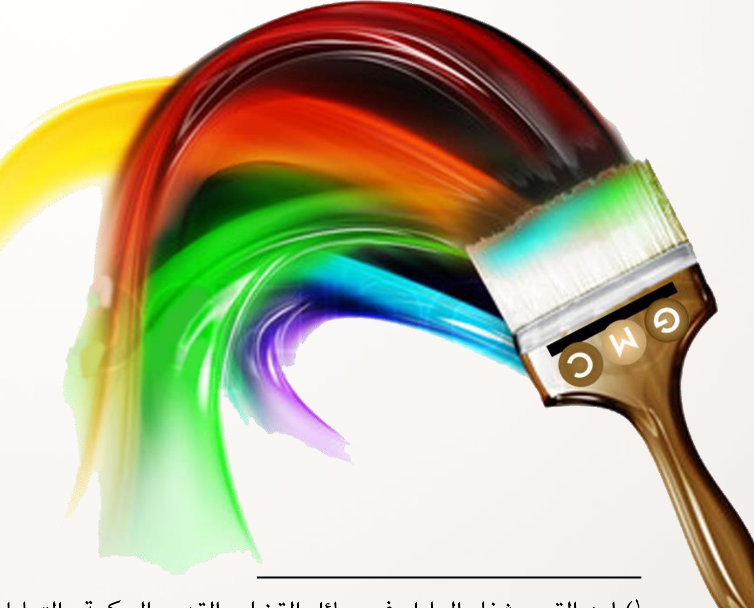
✍ خلصنا في المحاجّة السابقة إلى نتيجة، هي أن وقوع الشر في العالم لا يناقض رحمة الله ولا يعارض اتصافه بصفات الخير نظرًا لكون هذا الشر سبيلٌ إلى خيرٍ أكبر وأعظم عن طريق اللزوم العقلي والمنطقي.. لكن هذا اللزوم العقلي والمنطقي معناه واسع للغاية؛ فارتكاب الذنب سبيلٌ إلى التوبة، والبلاء سبيلٌ إلى الصبر والصمود والتحمل، والقتل والشهادة في سبيل الله سبيلٌ إلى أعلى الدرجات في الجنة..



قد يعترض الملحد أن الله قادرٌ على إيصال هذا الخير دون وقوع الشر، لكن هذا في الحقيقة غير مقبول من الناحية المنطقية، فلا يُتصور عقلاً كيفية وجود صفات الصبر والصمود وتحدي الصعاب – وهي من معاني الخير – دون وقوع البلاء، وكذلك لا يتصور حدوث التوبة دون ذنب، ولا نيل الدرجات العلى دون استحقاقها بالشهادة في سبيل الله، وغيرها من الأمثلة..

والله جل وعلا ربط الأسباب بمسبباتها شرعًا وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الكوني وأمره الشرعي ومحل ملكه وتصرفه، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات العقلية وقدح في العقول والفطر.. فقد جعل الله سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحلال والحرام كلها مرتبطة بالأسباب وقائمة بها.. بل المرء نفسه وصفته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات.. والشرع كله أسباب ومسببات.. والمقادير أسباب ومسببات.. والقدر جارٍ عليها ومتصرف فيها.. فالأسباب محل الشرع والقدر..[١]

لا شك أن العالم العلوي – أي: عالم الملائكة – ليس فيه شر، لكنه كذلك لا يبلغ مستويات الخير الموجودة في عالمنا الأرضي، وقد قرر عديدٌ من أهل العلم أن الأبرار من البشر خير من الملائكة..[٢]



[١]) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار الحديث – القاهرة، ص٤١٤

[٢]) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، دار ابن رجب – القاهرة، ص٢٨٢

لكن الملحد قد يعترض من وجه آخر: فالله قادرٌ على أن يجعل عالمنا مثل عالم الملائكة بدون شرٍ ألبتة.. لكن يلزمه أن يثبت في هذه الحالة أن الخير المجرد أعظم وأفضل من الخير الممزوج بالشر، وهذا صعب جدًا، بل مستحيل في حقيقة الأمر، وعقيدة المؤمن أن الله يسمح بالشر في هذا العالم لأجل تحصيل الخير الناتج عنه أو المترتب عليه شريطة أن تكون المحصلة العامة هي زيادة الخير على الشر بقدر أكبر من القدر الذي يمكن تحصيله من الخير البحت، وأن في وجود الشر من المصالح والمنافع والخيرات ما يبرر وقوعه..[١]

عند هذه النقطة قد يعترض الملحد مطالبًا المؤمن بأن يثبت له أن كل مظاهر الشر في العالم مبررة عقلاً وأن فيها فعلاً من المصالح والمنافع والخيرات ما يذكره المؤمن، وأنه إن استطاع المؤمن أن يبرّئ الله من بعض الشرور، فهو لا يستطيع ذلك بالنسبة لكل الشرور..[٢]

لكن حقيقة الأمر أن هذا الاعتراض نفسه يثبت أن الشر الموجود في العالم من الممكن تبريره أو تفسيره، وأنه قد يكون له تفسير سواء علمناه أو لم نعلمه، ودور الملحد هنا هو أن يثبت أنه من المستحيل عقلاً تفسير كل هذه الشرور، وهذا دونه خرط القتاد.. بل إنه لا يوجد ملحد واحد قد أثبت – أو حتى حاول أن يثبت – أن هناك من الشرور في العالم ما يستحيل تفسيره = قضية ضرورية عقلاً..[٣] بل إن المرء قد يعجب من ماهية البرهان الذي يمكن أن يسوقه الملحد لإثبات مثل هذا الأمر!

---

[١]) ابن القيم، المرجع السابق، ص٤٠٧

[2]) H. J. McCloskey، op. cit.، p. 105

[3]) Alvin Plantinga، op. cit.، p. 123



✓ فضلاً عن هذا، فإنه يحسن بنا أن نضيف في هذا المقام أنه إذا استقر لدى المؤمن الإيمان بأن لوجود الشر في هذا العالم حكمة إلهية عليا – سواء علمناها جزئيًا أو كليًا أو لم نعلمها –، فساعتها يسهل الجمع بين حقيقة وجود الله كامل الخيرية وحقيقة وجود الشر في العالم المخلوق، ولا يصبح لدينا أي تعارض إطلاقًا..[1]

✓ يقول أبو الفداء:

" وبيان ذلك أن نقول إن العقل الصحيح يقضي بأن نحمل المتشابهات على المحكمات، وأن نستنبط أحكام الجزئيات المجهولة من الكليات المتقررة المعلومة، وأن نقيس ما جهلنا على ما علمنا، وأن نقطع الشبهات الفرعية بالرجوع إلى الكليات اليقينية، وهذا في جميع أبواب العلم.

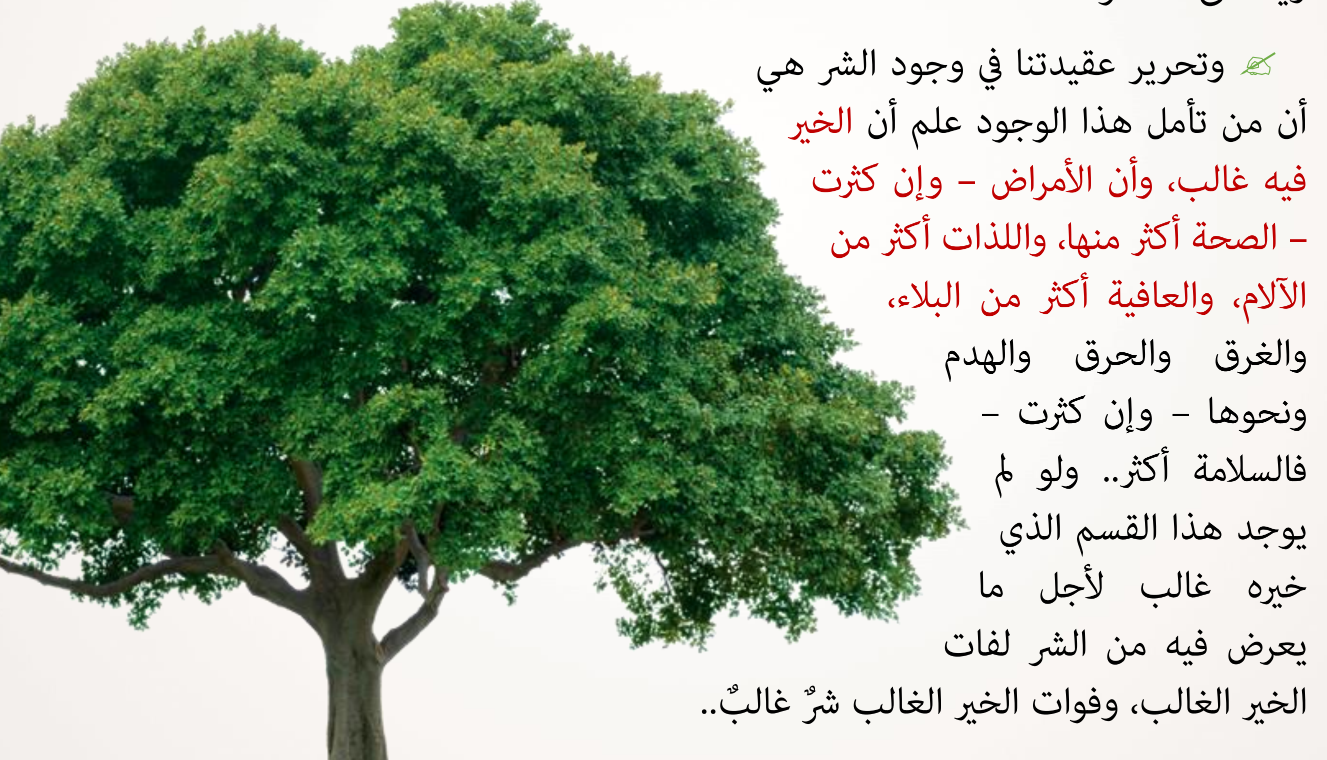
فعندما نرى صورة من صور الألم الشديد أو العذاب يتعرض لها مخلوق من المخلوقات، ولم يتحقق لنا في مفردات الأمر ما به نعلم الحكمة الدقيقة من نزول ذلك الشر بذاك المخلوق، فليس لنا أن ننتقل عن الأصل الراسخ المتقرر عندنا بضرورة العقل وبقواطع الشرع، إلى ما ينافيه وينقضه! بل مهما كثرت صور الشرور التي نجهل تأويلها بعينها، لم يجز لنا أن نتخذ من ذلك ذريعة لنقض الأصل الكلي القطعي في المسألة! فإن تلك الشبهات كلها مدارها الجهالة، أي أن كل واحدة منها غايتها أن يقال فيها: [لا ندري ولا نتصور لماذا أنزل الله هذا الشر بعينه بهذا المخلوق بعينه]، وليس في شيء منها شبهة دليل على وقوع الظلم أصلًا!

---

1) Nelson Pike, God and Evil: A Reconsideration, Ethics, LXVIII (1957-1958), p. 119. Also Pike, Hume on Evil, Philosophical Review، LXXII (1963), pp. 184-188.

⌘ فإذا كانت الجهالة في المسألة الواحدة لا يوصل منها إلى حكم فيها كما هو مقتضى العقل الصريح، فلا عبرة بتكاثر الجهالات وتراكمها في نظائر تلك المسألة، ولا يصار من كثرة تلك الأسئلة إلى توهم الوقوف على مرجح ظني في الأمر لأنها ليست أدلة في نفسها وإنما جهالات! وهذا أجمع ما به يُرد على شبهات بعض الفلاسفة المعاصرين ممن تعلقوا بفكرة أن كثرة صور الشر وشناعتها في العالم مع افتقارنا لجواب عن كل واحدة منها أو تأويل لها، تمثل مرجحًا ظنيًا أو احتماليًا معتبرًا لعدم وجود الخالق أو لكونه ظالمًا، سبحانه وتعالى!

✓ فإذا كان الأصل الراسخ المتقرر لدينا بيقين أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، لم يكن لنا – من الأصل - أن نطرح سؤالًا كهذا: [هل هذا الشر بعينه من الظلم أم ليس منه؟]، فإن الجواب الكلي العام معلوم لنا متقرر عندنا ابتداءً..! وبهذا المسلك تنقطع شبهة الملحد ويتحقق المقصود "..[١]



✍ وتحرير عقيدتنا في وجود الشر هي أن من تأمل هذا الوجود علم أن الخير فيه غالب، وأن الأمراض – وإن كثرت – الصحة أكثر منها، واللذات أكثر من الآلام، والعافية أكثر من البلاء، والغرق والحرق والهدم ونحوها – وإن كثرت – فالسلامة أكثر.. ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب، وفوات الخير الغالب شرٌ غالبٌ..

---

[١] أبو الفداء بن مسعود، جواب في شبهة عذاب البهائم ونزول الشرور بهم، منتدى التوحيد ، وهذه المقالة في الصفحة ١١٠ من هذا الكتاب..



✓ ومثال ذلك النار، فإن في وجودها منافع كثيرة، وفيها مفاسد، لكن إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها.. وكذلك المطر والرياح والحر والبرد.. وبالجملة فعناصر هذا العالم خيرها ممتزج بشرها، ولكن خيرها غالب..

⇦ وتحقيق الأمر أن الأمور التي يقال هي شرور إما أن تكون أمورًا عدمية أو أمورًا وجودية..

✓ فإن كانت عدمية: فإنها إما أن تكون عدمًا لأمور:

❶ ضرورية للشيء في وجوده كالإحساس والحركة والحياة للكائن الحي..

❷ أو ضرورية للشيء في دوام وجوده كالقدرة على التغذي والنمو للكائن الحي..

❸ أو ضرورية في كماله مثل الصحة والسمع والبصر والقوة..

❹ أو غير ضرورية في وجوده ولا بقائه ولا كماله وإن كان وجودها خيرٌ من عدمها مثل العلم بدقائق العلوم التي لا يضر الجهل بها أو الغنى المفرط..

✓ أما الشر الوجودي: فليس شرًا بالذات بل بالعرض من حيث أنها تتضمن وجوهًا للخير في نواحٍ ووجوهًا للشر في نواحٍ أخرى.. مثال ذلك أن الظلم يصدر عن قوة تطلب الغلبة والقهر، وهي القوة الغضبية والتي خلقها الله لأجل صدور الغلبة عنها، فليس في ترتيب وجودها أو فعاليتها شر، بل الشر هو عدمها أو عدم فعاليتها فتكون النتيجة هي القهر والضعف والعجز..

⇦ لكن الشر الحاصل منها هو بالنسبة للمظلوم بفقدان نفسه أو ماله أو قدرته، وبالنسبة للظالم من جهة وضع الغلبة والقهر في غير موضعه، فعدل به من محله إلى غير محله، ولو استعمل الغلبة والقهر على المؤذي الباغي من الإنسان والحيوان لكان خيراً، لكنه عدل به عن موضعه السليم..



✓ كمثل ماءٍ جارٍ في نهر إلى أرض يسقيها وينفعها، فالخير والكمال في جريانه حتى يصل إليها، فإذا عدل به عن مجراه إلى أرض يغرقها ويضرها ويخرب دورها كان الشر في هذا العدول، وليس في النهر ومائه الجاري.. فهكذا الإرادة والغضب أعين بهما العبد ليحصل ما ينفعه ويقهر به عدوه وما يؤذيه.. فإذا استعملا في ذلك فهو خيرٌ، وإذا انصرفا إلى غير ذلك كان شرًا نسبيًا إضافيًا..



✓ كذلك النار كمالها في إحراقها، فإن أحرقت ما ينبغي إحراقه فهذا خيرٌ، وإن صادفت ما لا ينبغي إحراقه فأفسدته فهذا شرٌ إضافي بالنسبة إلى المحل المعين..

✓ وكذلك الوطء فإن قدرة الفاعل وقابلية المفعول كمال، ولكن الشر في العدول به عن الموضع الذي يليق به إلى محل لا يليق ولا يحسن.. وكذلك حركات اللسان والجوارح كلها جارية على هذا المجرى..

✍ فيظهر من هذا التقرير أن دخول الشر في الأمور الوجودية إنما هو نسبي إضافي وليس ذاتيًا، أي: بالنسبة والإضافة وليس من جهة ذات الشيء نفسه، فالسجود – على سبيل المثال – في ذاته ليس شرًا، لكنه إن أضيف لغير الله كان شرًا بهذه النسبة والإضافة، وكذلك تعظيم الأصنام شرٌ، ليس من جهة أن التعظيم في ذاته شرٌ، بل لأجل نسبته وإضافته للأصنام..[1]

والله أعلم..

---

[1]) لمزيد من التفصيل انظر ابن القيم، مصدر سابق، ص٣٩٧-٤٠٧





لمتابعة الموضوع على منتدى التوحيد



لمراسلة/

د. هشام عزمي





ثانيًا

معضلة مشكلة الشرّ

[مناظرة ثنائيّة]

أ. عمار سليمان، والملحد/ نيوتن





نظام المناظرة:

- مداخلة افتتاحية من نيوتن..
- مداخلة افتتاحية من أ. عمار..
- رد أول من نيوتن..
- رد أول من أ. عمار..
- رد ثاني وخاتمة من نيوتن..
- رد ثاني وخاتمة من أ. عمار..



الشروط المسبقة للمناظرة:

- ⌘ على كل مناظر أن يلتزم بألا يتأخر كل رد له عن أسبوع واحد..
- ⌘ عدم إغفال إلزامات محاوره والرد عليها بدون إهمال بعضها..
- ⌘ الالتزام بالموضوعيّة في الطرح..

بدأت هذه المناظرة في ٢٠١٣/٦/١٣

وانتهت في ٢٠١٣/٧/٦



❶

مداخلة افتتاحية من نيوتن

الشر موجود

نعم ↓

هل يستطيع الله منع الشر؟ — لا ← إذن الله ليس كلي القدرة

نعم ↓

هل يعلم الله بجميع الشر الموجود؟ — لا ← إذن الله ليس كلي العلم

نعم ↓

هل يريد الله منع جميع الشر؟ — لا ← إذن الله ليس رحيم وخير

نعم ↓

فلماذا هناك شر؟

- لاختبارنا ← إذا كان الله كلي العلم فسيعلم ما كنا سنفعله إذا اختبرنا. لذلك لا حاجة لاختبارنا.
- بسبب الشيطان ← إذا كان الله كلي القدرة فسوف يستطيع القضاء على الشيطان

الشر ضروري أو اجابات أخرى ↓

هل يستطيع الله خلق كون بدون شر؟ — لا ← إذن الله ليس كلي القدرة

نعم ↓

لماذا لم يخلق كون بدون شر؟

- لاختبارنا ← إذا كان الله كلي العلم فسيعلم ما كنا سنفعله إذا اختبرنا. لذلك لا حاجة لاختبارنا.
- ليعطينا حرية الاختيار ← هل يستطيع الله خلق كون مع وجود حرية الاختيار وبدون الشر؟
  - لا ← إذن الله ليس كلي القدرة
  - نعم ← لماذا لم يخلق كون بدون شر؟

2

مداخلة افتتاحية من أ. عمار

بسم الله الرحمن الرحيم، وأصلي وأسلم على من بُعث رحمة للعالمين و على آله الطاهرين وصحبه الأبرار المحجّلين...

✍ بدايةً أسأل الله تعالى أن يجري الحق على يديّ ويلهمني طريق الصواب..

✓ أرحب بزميلي (نيوتن) وأقول: أهلًا وسهلًا في هذه الوجبة الخفيفة من الحوار الذي نرمي لأن يكون مثمرًا لا (سلبيًا) ولهذا لابد على كل محاور أن يبين عقيدته (توجهه) في القضية أساس البحث (الشر)..

✓ بمعنى أنه يجب على (عمار) أن يوضح مفهومه للشر ومصدريته وفك الإشكالات التي قد توهم التعارض ويفنّد قول محاوره بما تحتمله أدوات العقل والمنطق وكما يجب على زميلنا نيوتن أن يقدم ما قدم محاوره ليكون الحوار مبحثًا مقارنًا بسيطًا بين النظرة التوحيدية (Thesim) مقابل النظرة الإلحادية (Atheism)..



⇦ وبناءً على هذا التفصيل سأجعل مشاركتي مبنية على ثلاثة محاور:

1. الرد على معضلة الشر.
2. معضلة الشر في الإلحاد وهنا لابد أن يستفيض زميلنا في بيان وجهة نظره وتفنيد حجج محاوره ضرورةً.
3. مفهوم الشر في الديانة التوحيدية (الإسلامية).



❶ الرد على معضلة الشر.

✍ بدأ زميلنا نيوتن بسؤال: هل الشر موجود؟

⇦ وكان جوابه بنعم، وهذا لا إشكال فيه عندنا حيث أننا متيقنين من وجود شر قائم على مفعولات الله لا أفعاله، بحيث أن إرادة الله الكونية وسننه التي تحكم البشر = كلها خير وإن كان بها (بعض الشر).

⇦ يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه شفاء العليل:

" فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره كله خير، ولذلك تنزه عن الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه "..[١]

✓ و الله وضع كل شيء في موضعه بحكمته وعلمه فأجرى الشر على بعض مخلوقاته لخيرٍ أعظم ولمعنى للحياة أفضل وأحكم.

⇦ وهنا مثال للتوضيح: قَدَّرَ الله الألم على هذا الجسد من أول ولادته إلى أن يموت، فهل هذا شرٌ محض في فعل الله تعالى..؟

✓ ليس ولن يكون شرًا محضًا بل هذا الألم والتعب المُقدر على هذا الجسد تقويه من الناحية العضلية = خير، ويؤسس لمفهوم الرحمة والتراحم بين البشر، حيث مفهوم الرحمة

---

[١] شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، الإمام ابن القيم، صفحة ٣٥٩ - ٣٦٠..



لا يتصور دون ألم وتعب وبضدها تتمايز الأشياء، واللذة مرتبطة في الألم من حيث المفهوم حيث لا تفهم اللذة دون معرفة الألم، ومن حيث الشعور حيث أن الإنجاز بعد ألمٍ و تعب = شعور قوي باللذة، ومثله في الجوع إذا اشتد تكون لذة الإشباع أكبر وأكبر..

✍ وعليه هذا يقودنا الى نتيجة أخرى تفيد بأن الشر والألم مرتبطان في مسمى (الحكمة) وهذا ما غاب عن مفهوم زميلنا نيوتن حيث تعامل مع مسألة الشر كأنها وحدة منفصلة ليس لها علاقة في مفهوم الحكمة والغاية والثنائية، فأسّس مجموعة من الأسئلة اللامنطقية التي لا نسلّم بها أصلاً..

✍ النتيجة من الكلام السابق:

1. أن الشر ليس محضًا، وتحت كل شر (على [مفعولات الله] لا على أفعاله) هناك خير بل وخيرات.
2. أفعال الله = لا شر فيها لأنها في غاية الحكمة والإحكام.
3. الشر على المفعولات وفيه تأسيس لمعنى الرحمة بل ولمعنى الخير، حيث أن الخير لن يفهم لنا إلا إذا كان هناك بعض شر..! فلا يمكن عقلًا تخيل الواقع خيرًا محضًا دون شر وإلا لبطل مفهوم الخير خاصةً أن عالمنا تحكمه ثنائيات.

✍ قال زميلنا في معضلته:

" هل يستطيع الله منع الشر ؟

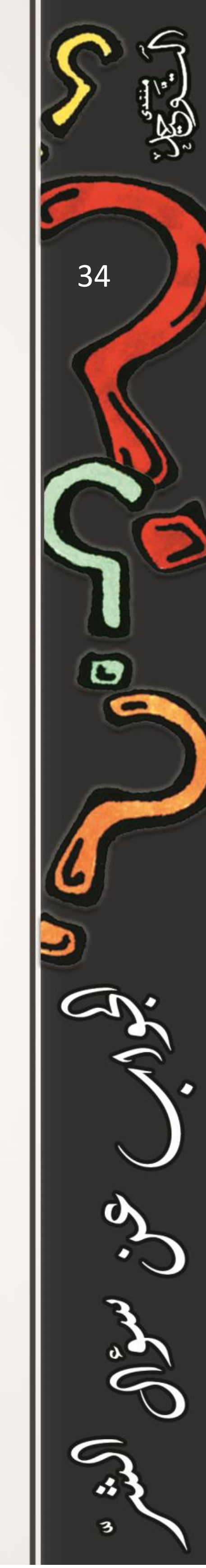
وهل يعلم الله جميع الشر؟

وهل يريد الله منع جميع الشر؟ "

⇦ و سأنطلق من الجملة الأخيرة لزميلنا: [هل يريد الله منع كل شر..؟].. وربطها في أن الله إذ لم يرد منع الشر كله: أنه غير رحيم.

✓ لابد وأن زميلنا يعلم أن من لوازم عقيدتنا أن الله تعالى يريد لحكمة لا لجهل وتعسف، فالإرادة مرتبطة بحكمته وعلمه، وعلمه لا يكون دون حكمته فعليه، عند التكلم عن الإرادة والقدرة لابد من ربطها بالعلم و الحكمة وإلا لقلنا أن نتكلم عن إله يعبث وهذا ممتنع، والله عزوجل يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾..

✓ النقطة الثانية: هل من لوازم إرادة الشر على المفعولات أن يكون فاعله غير رحيم؟ هذا منفك وليس بلازم والمثال الواضح الشهير عليه، إذا قطع طبيبٌ قدمك لإنقاذ حياتك من [غرغرينا] ستقتل كل جسدك هل يسمى هذا الفعل عدم رحمة لأن به بعضًا من الشر..؟! هذا لا يلزم، و لله المثل الأعلى حيث أن ما سمح به من شر على مفعولاته (لا أفعاله) من جنس الخير المتمثل في معنى العدل، وحرية الإرادة التي سأتكلم عنها في النقاط اللاحقة، فلولا وجود الشر في المفعولات لم يكن هناك معنى للخير ولن نفهمه، وعليه يكون مفهوم الشر في هذه الدنيا خير لنا ورحمة لنا لأنه دون هذا المفهوم لن نعرف معنىً للخير..!





✓ مثال آخر: الأوجاع والآلام التي تعتلي الأسنان على سبيل المثال تعتبر محفزًا (stimulate) للتنبيه أن هناك خطرًا على الأسنان فنسارع لمعالجتها، أضف إلى ذلك فلسفة الدين التي لا نهملها، أن في الألم الناس تعود إلى الله، و يرفع الله درجاتها حيث استفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامه لحب الله لأهل البلاء، وكم من عائد إلى الله وإلى رحابه وسعته..

✓ و تفسير الدين بسبب مرض أو بسبب موقف = أعلم أن هذا لا يهمك لكن يهم كل مؤمن ويعلم أن هذا من رحمة الله فحصر الرحمة في الشعور الدائم بعدم الألم فيه تصور وحدوي للإنسان وكأنه آلة بيولوجية، وهذا لا نقرُّه.

✓ فعليه ليس بلازم إذا كان الله لا يريد منع الشر على مفعولاته ألا يكون رحيمًا وعليه يبطل سؤال زميلنا، و لأن إرادة بعض الشر في المفعولات والرحمة لا تناقض بينهما أصلًا، بل هذا من صلب الحكمة والسنن الكونية التي لا تُفهَم إلا إذا قلنا بالمعنى المتجاوز للإنسان ووجود الإله.. كيف هذا؟

⇦ القول الذي يريد إعدام الشر كليًا في العالم لابد وأنه يتكلم عن: [عالم متماسك بشكل عضوي، لا تتخلّله أيُّ ثغرات، ولا يعرف الانقطاع ولا الثنائيات، خاضع لقوانين واحدة كامنة فيه لا تفرق بين الإنسان وغيره من الكائنات، فهو عالم يتسم بالوَحدويّة المادية الصارمة وهذه كلها صفات (الطبيعة /المادة)]..



✓ وهذا يعني باختصار عالمًا خاليًا من المعنى، لا يوجد فيه لا خير ولا شر ولا صحيح ولا خطأ، وهذا مضاد للحكمة البشرية فكيف بالحكمة الإلهية..؟!

✎ أم يريد زميلنا نيوتن عالمًا بلا حكمة يكون فيه فعل الإكراه بديلًا لفعل حرية الاختيار؟ لأن في هذا العالم الذي يريده زميلنا نيوتن الأفعال متساوية ووحدوية.. (وسأستفيض إن شاء الله في الكلام عن هذا المفهوم في النقطة الثانية التي هي معضلة الشر في الإلحاد)..

نتيجة لهذا الكلام:

❶ أن إرادة الشر على المفعولات وعدم منعه لا يستلزم أن يكون الله ليس رحيمًا بل مفهوم الشر الذي سنَّه الله في كونه على مفعولاته ضروري لفهم معنى الخير وهذا الفهم لابد أنه = رحمة وخير للبشرية لعدم السقوط في الوَحدَويّة المادية التي لا تقرّ لا بخير ولا بشر ولا بمعنى.!

❷ بناءً على هذه النتيجة نعود لسؤال زميلنا نيوتن: [هل يستطيع الله منع الشر..؟] إذا كان زميلنا يقصد أن: [هل يستطيع الله أن يخلق عالمًا لا معنى فيه، خاليًا من المعنى، الأفعال فيه لا يعرف منها خير ولا شر ولا تحكمه أي ثنائيات...]

⇦ نقول بما أن الله إرادته مرتبطة في حكمته فلن يقرر عالمًا ماديًّا وحدويًّا لا معنى فيه بلا حكمة وبلا عقل وبلا فهم إلا إن كنت تريد أن تعبد إلهًا متوحدًا مع مخلوقاته حالّ بهم وهم يحلون به بحيث لا يوجد هناك أي ثنائية بين خالق/ مخلوق، إنساني/ مادي، فيكون العالم منزوع العقل والمنطق، وهذا لا يقره العقل ولا يساعدك عليه الواقع..

3 فعليه سؤالك (ناقص) والصحيح أن تقول: هل يستطيع الله أن يكون حكيمًا بلا حكمة بحيث يقر كونًا لا معنى فيه ولا شر فيه ولا صحيح ولا خطأ..؟

⇦ وهذا بلا شك تناقض، حيث لا يجتمع أن يكون الله حكيمًا وغير حكيم ولا يرتفع حسب أبسط أسس المنطق = فالمتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان..

4 وأما السؤال الخاص بـ: هل يعلم الله الشر..؟ نعم يعلم الشر على مفعولاته وأنها من لوازم حكمته ويعلم أن إرادة الشر على هذه المفعولات لا تعني أنه ليس رحيمًا، فعليه: الله عليم رحيمٌ حكيمٌ لا ينقصه علم الشر لكي لا يعلم ولا ينقصه حكمة لكي يريد ما لا تنقصه حكمته..

✍ أنتقل الآن مع زميلنا نيوتن إلى: هل يستطيع الله خلق كون دون شر..؟ والأسئلة المتفرعة عن هذا السؤال الأساس، وأهم هذه الأسئلة الفرعية بنظري: [لماذا لم يخلق الله كونًا بدون شر..؟].. وبعدها افترض إجابة محاوره وأجاب: بسبب حرية الاختيار فرد بسؤال بعده: [هل يستطيع الله أن يخلق كونًا فيه حرية الاختيار دون شر..؟]..



⇦ سأنطلق بسؤال زملينا:

[هل يستطيع الله أن يخلق كونًا فيه حرية الاختيار دون شر..؟].ز

✓ يقول الأستاذ محمد أبوزيد في موضوع له بعنوان (لجامُ العقول):

" أي نوع من الإدراك أو التفكير أو التعبير يستهدفُ الصوابَ وينشدُه، يجب أن يُقدّمَ عباراتٍ مفيدةٍ، أي تعبيرات ذات معانٍ تقبلُ الصوابَ أوالخطأ: أي هُويّات تُشكّل أحكاماً منطقيّة حتى لو اتخذت هذه الهُويّات أيٍ شكلٍ من أشكال التعبير: كالإشارات أو التعبيرات السلوكية، ولم تتخذ شكل الجمل اللغوية أو القضايا المنطقية.

✎ والتحقيق المنطقي: هو الحكم بالصواب أو بالخطأ على أي أفكار أو تعبيرات مفيدة: أي تشكل هُـويّات منطقية... فإن قال قائل مثلاً: أنه يوجد مثلث له أربعة أضلاع!!.. فإن كلامه يُشكل تناقضًا مباشرًا كاملًا في الهويات يجعله لغوًا مختلِطًا يجب رفضه منطقيًا: أي أنه لا يوصف بالصواب أو بالخطأ منطقيًا أصلًا، بالرغم من أنه يوصف بالخطأ من حيث التعبير اللغوي..!!. ومن ذلك، يتضحُ المقصود بضرورة التعامل في مجالات استهداف الصواب والخطأ بتحديدات، أي بهُـويات تقبل التحقق المنطقي.. "[1]

---

[1] رابط الموضوع: https://www.facebook.com/notes/moham...51384142858461

❀ وأقول يا زميلنا العزيز وهل تستطيع أن (تُصوّر لنا هذا العالم الذي به حرية اختيار ولا يكون فيه شر) إذا قلت نعم فأكرمنا به، وإن قلت لا، قلنا: أول مباحث العقل والمنطق هو طلب التعريف (التصوّر) ومن ثم طلب الدليل (التصديق)..

✓ فإن كنت لا تملك تصورًا لهذا العالم الذي تتكلم عنه فكيف تطالبني أن أثبته (أي أن أقيم الدليل على استطاعته)..!



✓ وعليه أنت مطالب يا صديقي:

1. أن تُعرّف لنا هذا العالم (كونًا فيه حرية الاختيار دون شر) أي دون ثنائية، وكيف سنفهمه؟ وهل العقل له قدرة على تصوره أم هو من جنس المستحيلات..؟

2. كيف سيكون هناك معنى في هذا العالم المنزوع من الثنائيات.؟

3. كيف سنقيم العدل به..؟ وما القانون الذي سيحكمه..؟ وهل هناك جريمة به..؟



✓ إذا لم تستطع أن تقدم تصورًا عن هذا العالم (فدعوتك لا يطيقها العقل والمنطق، ولا يتسع لها الواقع)..[١]

⇦ بالإضافة أنه لا يمكن تحقيقه منطقياً، فإنه لا يحتمل الصواب والخطأ، بل ويعمد إلى إلغاء الخطأ الذي هو فصل من نوع الشر.. فأنت كما يقول الأستاذ محمد أبوزيد لا تقدم عبارات مفيدة يمكن فحصها..

✓ أضف الى ذلك أن الشر نوع من جنس حرية الاختيار، وعليه السؤال الذي كان يجب أن تسأله:

✓ هل يستطيع الله أن يخلق إنسانًا حرًا (يستطيع الاختيار بين ثنائيات، خير /شر، صحيح/خاطئ) دون أن يكون حرًا..؟

✓ هل يستطيع الله أن يخلق إنسانًا مُختارًا دون أن يكون له حرية اختيار..؟

✓ هل يستطيع الله أن يخلق إنسانًا مستطيعًا دون استطاعة..؟

⇦ هذا سؤالك بعد أن تفككه بشكل منطقي، وعليه سؤالك غير متصور (حيث لا يمكنك تصور عالم دون ثنائيات)، ومتناقض حيث أنه جمع بين القدرة وعكسها..! وهو مستحيل ممتنع، فليس لكل سؤال جواب يا صديقي بل لكل سؤال صحيح جواب..

---

[١]) الدكتور عبد الوهاب المسيري، العلمانية، والحداثة والعولمة، صفحة ١٠٩.

وإذا عدنا إلى سؤال زميلنا: هل يستطيع الله خلق كون دون شر..؟

أجبتُ بالاستفصال حيث أنه:

1. إن كان يريد كونًا واحدًا ماديًّا لا شر فيه ولا معنى فيه = ممتنع وهو مستحيل..

2. أما إذا قال: يريد كونًا دون شر وفيه حكمة، قلنا له هات تصورًا للحكمة في عالم مادي واحدي لا يقر بثنائية، إن أتى لنا بتصور لهذا العالم فيكون سؤاله صحيحًا وإلا سؤاله لا يحتمله الواقع ولا يتصوره العقل أصلاً.

يبقى سؤال واحد بنظري أريد الإجابة عنه ألا وهو:
إذا الله علم ماذا سنفعل هذا يعني أنه لا حاجة للاختبار ؟

الجواب بكل اختصار:

1. أن الله لا يعمل بمفهوم الحاجة أصلًا، لأن صاحب الحاجة هو صاحب عوز، أما الإله العالم الحكيم لا يتصرف بناءً على حاجة، بل يتصرف كما يشاء ومشيئته مرتبطة بحكمته.. وعلمه وحكمته لابد أن يظهر لهم أثر، واختبارنا من هذه الأثار..

2. إذا قلنا أن هناك بشرًا عليمًا (بالقوة) ولا تظهر على هذه الصفة آثار (بالفعل).. ماذا سنعتبره؟.. بلا شك سفيه وعابث.. وإن كان هذا ممنوع عن عالم أهل البشر فهو ممنوع عن الله تعالى..

3. وسأقلب السؤال الآن: ماذا لو لم يكن الإله عليمًا تام العلم والقدرة ماذا سيكون حالنا وحال كوننا..؟



✓ سأدع كارل بوبر وجاك مونود يجيبوننا: يقول بوبر:

" إن احتمالية، أو نزوع، أي ذرة مأخوذة عشوائيًا في العالم، إلى أن تصبح (خلال وحدة مختارة من الزمن) جزءًا من كائن عضوي حي، كانت دائمًا ومازالت لا تفترق عن (صفر).

لقد كانت صفرًا بالتأكيد قبل ظهور الحياة، وحتى بافتراض وجود كواكب كثيرة يمكن أن تقوم عليها الحياة، فلابد أن يبقى الاحتمال المذكور ضئيلًا إلى غير حد.."

✓ ويقول جاك مونود: " لقد كنا غير قابلين للتنبؤ قبل ظهورنا.."[1]

✓ فبوبر وجاك مونود يقدمون استحالة أن نكون أتينا من صدفة لا تعلم شيئًا، الباقي أن هناك عليم قادر على إنفاذ علمه بهذا الكون، ولا داعي للكلام عن الكائنات الفضائية، لأنه تسلسل ممتنع..

---

[1]) يراجع الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان.

⇦ فعليه رفض علم الله لأنه يختبرنا يُشكِل أكثر بكثير من الإقرار بعلمه سبحانه.. بل لا إشكال في علمه واختبارنا أصلًا، [فالله عالم أنه سيخلق بشرًا وعالم أنه سيعطيه حرية اختيار وعالم بماذا يختار، وأراد أن يخلق هذا المخلوق بمشيئته الحكيمة دون حاجة أو عوز]..

⇦ فرفض علم الله التام بهذه البساطة أظنه غير لائق يا صديقي نيوتن فلنتواضع قليلًا ونفحص مقولة (ما نكون نحن والعالم من دون إله عالم)..؟؟!

✓ هل ستتنفس ساعة إذا انعدم هذا السؤال؟ هل ستجد الأرض متهيئة لك وأنت في بطن والدتك؟ لماذا لك أنف وأنت في بطن والدتك لا تستخدمه ولكنه مُعدّ بدقة لشيء بعدي، هل لو لم يكن هناك عالم فيما بعد، وجدت أنت وظيفة لأنفك أو ليدك أو حتى لمنطقك وحجتك..؟!

❁ قليلاً من التواضع يا صديقي..

✍ الخلاصة: جُل إشكال الزميل نيوتن أنه يريد عزل مفهوم الشر عن الحكمة وهذا ممتنع، ويقيم على أصله أسئلة تصل بنا الى التناقض.

✓ وأقول: لن تجد حلًا لإشكالية الشر إلا بإرجاعها إلى حكيم قدّرها لخير أفضل منها وإلا ما تفسير الإلحاد للشر..؟؟



2 معضلة الشر في الإلحاد:

يتجه الإلحاد عمومًا إلى **إيعاز الإنسان إلى العالم الطبيعي** المادي أي (التجريبي)..

- ✓ وهذه الفلسفة المادية هي المذهب الفلسفي الذي لا يقبل سوى المادة باعتبارها **الشرط الوحيد للحياة (الطبيعية والبشرية)**.. ومن ثم فهي ترفض الإله على أنه شرط من شروط الحياة..
- ✓ وكما أنها ترفض الإنسان نفسه وتقرّ بعدم قدرته على تجاوز النظام **الطبيعي/المادي**..

⇦ ولذا فالفلسفة المادية ترد كل شيء في العالم **(الإنسان والطبيعة)** إلى **مبدأ مادي واحد**.. ويترتب على هذا المفهوم الإلحادي غير التجاوزي أن يكون الإنسان فيه **إنسانًا طبيعيًا**، أي أن سقف وجوده ووعيه هو سقف الطبيعة المادية..

✓ ويتفرع عن هذا الإنسان الطبيعي: **الإنسان الاقتصادي**، الذي يحركه ويحدد سلوكه حب مراكمة الثروة أو علاقات الإنتاج ووسائل الإنتاج، كما يتفرع عنه: **الإنسان الجسماني** الذي تدفعه غدده أو جهازه الهضمي أو العصبي أو التناسلي إلى أن يُرَد الى ما هو غير إنساني، وأنا أذهب إلى أن **هذه هي خطيئة المادية والعلمانية الشاملة**..

❀ فهي لا تكتفي برد بعض أبعاد الإنسان إلى المادة وإنما تصر على رد الإنسان في كليته إلى عالم الطبيعة/المادة، فتنزع القداسة عنه وتراه على أنه مادة محض..

✓ وعليه فإن من يصر على أن الأصل المادي هو من أظهر عناصر متجاوزة للمادة مثل [الوعي] و[العقل] و[الغائية]... هو في نهاية الأمر ينسب للمادة مقدرات غير مادية..[1]

✍ العقل كعنصر متجاوز:

✓ Interactionism : نظرية اتبعها بوبر وأكلس لتفسير العلاقة بين العقل والدماغ.. وهذه قررها بانفيلد أيضًا.. وصفها أكلس بدقة: (the brain-mind liaison) أي الوصول بين العقل والدماغ، وعليه فبانفيلد نتيجة لمراقبته لمئات المرضى ينتهى إلى أن عقل المريض يراقب الموقف بمثل هذه التجربة:

" عندما جعلت أحد المرضى يحرك يده بوضع الإلكترود على القشرة الحركية في أحد نصفي كرة دماغه كنت أساله مرارًا عن ذلك وكان جوابه على الدوام، [أنا لم أحرك يدى ولكنك أنت الذى حركتها] وعندما أنطقته قال: [أنا لم أخرج هذا الصوت أنت سحبته منى]..

[1]) الدكتور عبد الوهاب المسيري، العلمانية، والحداثة والعولمة، صفحة ص٢٥ إلى ص٢٧.

⇦ فالنظر بمثل هذه العزلة والطريقة النقدية (أن يعلم أني أنا من حرك يده وأنطقه) = لابد من أن يكون شيئًا آخر يختلف كليًا عن فعل الأعصاب اللاإرادي.. ومع أن مضمون الوعي يتوقف إلى حد كبير على النشاط فالإدراك نفسه لا يتوقف على ذلك..

✓ وهذه تفيد أن العقل شيء مفصول عن الدماغ (المادي) مع وجود العلاقة الضرورية بينهما.. "[١]

✍ الأخلاق كعنصر متجاوز:

✓ يقول إيمانويل كانت:

" إن شيئين يملآن عقلي بالإعجاب والإجلال المتجددين والمتزايدين على الدوام: السماوات المرصّعة بالنجوم من فوقي، والقانون الأخلاقي الداخلي، فالشيء الأول يرتبط بمشكلة معرفتنا بالعالم الفيزيائي ومشكلة مكاننا في العالم، والثاني يتصل بالذات غير المرئية: بالشخصية الإنسانية (والحرية الإنسانية كما يبين) الأول يلغي أهمية الإنسان إذا نظرنا إليه كجزء من العالم الفيزيائي والثاني يعلي قيمته الى غير حد بوصفه كائنًا ذكيًا ومسؤولًا.. "[٢]

✓ ويقول على عزت بيجوفتش: " التكلم في حقيقة الحدث المأساوي هو ميتافيزيقيا خالصة لأنه بدون تجاوز لا توجد مأساة، يوجد فقط الحدث المادي.. "

---

[١]) كارل بوبر، النفس ودماغها، ترجمة الدكتور مصطفى عادل صفحة ٥٦.

[٢]) يراجع كارل بوبر النفس ودماغها صفحة ١١٥ ترجمة الدكتور عادل مصطفى. ويراجع العلم من منظوره الجديد، روبرت م أغروس وجورج ن. ستانسيو. ترجمة د. كمال حلايلي.

⇦ ومن آخر جملة لبيجوفتش أسأل زميلنا:



1. ما تعليلك لوجود الفعل المأساوي إلحاديًا؟
2. هل هناك لهذا الفعل المأساوي من الاغتصاب والقتل... إلخ، ضرورة في عالم الإلحاد؟
3. كيف تعلل رفض البشر للشر إذا كان عالمنا إلحاديًا لا تجاوز فيه؟
4. هل هناك من معنى للفعل الأخلاقي في الإلحاد؟

❁ وأخيرًا بما أن العقل والوعي لا يمكن ردهم إلا لقيمة متجاوزة حسب كارل بوبر، وإكلس عالم الأعصاب الشهير، وبانفيلد عالم الأعصاب الذي رسم مخططات الدماغ، بناءً على ذلك...

✎ كيف يمكن فهم الشر في عالم واحد لا يعترف بشيء متجاوز..؟

✓ وأما السؤال الأخلاقي فهو واضح، وينتظر منك إجابة لتقدم لنا نظرتك للشر وتعليلها وتفسيرها إلحاديًا.. يا صديقي.



✍ مثال للتوضيح:

شخص وهو يحاول أن يغتصب فتاة وتمكن منها وإذا بضميره يمنعه من الإكمال ويخرج نادمًا مقهورًا، وشخص آخر أتمّ الاغتصاب وتلذذ وأنتج عددًا جديدًا (يعنى الحفاظ على النوع وهذه قيمة داروينية أخلاقية بامتياز) من البشر من هذه الأنثى التي رضخت غصبًا للأقوى....

❶ كيف تفسر الفعلين السابقين إلحادياً؟

❷ هل فعل الاغتصاب الذي سيحافظ على النوع وسيكثره ممنوع أخلاقياً وما تعليله على مستوى الإلحاد؟

❸ ما معنى الظلم في عالم الإلحاد؟

✍ تفسير كارل بوبر للّغة يبطل خوارزمية زميلنا نيوتن:

✍ يفسر كارل بوبر (karl popper) استنادا إلى تفسير أستاذه Karl Bühler اللغة بناءً على ثلاث وظائف:

❶ الوظيفة التعبيرية: عبارة عن تعبير خارجي عن حالة داخلية وهذه حتى أجهزة الراديو أو إشارات المرور تستطيع أن تطلق تعبيرات بسيطة عنها، الحيوانات كذلك والإنسان أيضًا.. بل حتى أي فعل تفعله هو شكل من التعبير الذاتي.



❷ وظيفة الإشارة أو النشر: عندما يؤدي تعبيرنا الذاتي (سواء اللغوي أو غيره) إلى رد فعل في الحيوان أو الإنسان يمكننا أن نقول أنه أخذ مأخذ الإشارة.

❸ الوظيفة الوصفية: تتضمن النوعين السابقين ولكن ما يميز هذه الوظيفة علاوة على التعبير والتواصل (اللذيْن قد يصبحان جانبين للموقف غير مهمين على الإطلاق) فإنها تصنع عبارات يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة: أي تدخل معيار الصدق والكذب.

❹ وأضاف اليها بوبر الوظيفة الجدلية (argumentative): تضيف الحجة إلى الوظائف الثلاث مع إدخال قيمتيها: الخطأ والصواب.

⇦ المادي أو الفيزيائي على رأي بوبر لا يستطيع التعامل إلا مع الوظيفة الأولى والثانية فقط، حيث أن الفيزيائي سيجعلها مقابلة لحالة المتكلم = لها وظيفة تعبيرية فقط وأما السلوكي فسيعتبرها جزءًا من التواصل ورد الفعل لا أكثر..

✓ وما يترتب على قول هؤلاء كارثي (كما يسميه بوبر نفسه) حيث أنه - أي هذا الرأي - يغفل كل ما هو مميز للّغة البشرية ومفرق لها عن لغة الحيوان: أي قدرتها على صنع عبارات صادقة وكاذبة، وإنتاج حجج صائبة تقوم عليها النظريات العلمية والمناظرات الحجية، وحجج كاذبة يتم تفنيدها بالفحص العلمي..



✓ وهذا الإغفال من شأنه بالضرورة أن يحجب عنا رؤية الفرق بين الدعاية والترهيب القولي والحجة العلمية..[1]

✍ وأشار بوبر الى نظرية نعوم تشومسكي في اللغة:

" التي يتحدث عنها باعتبارها معجزة وباعتبارها ظاهرة لا يمكن تفسيرها ماديًا، وإنما في إطار نموذج توليدي يفترض كمون القدرة اللغوية في عقل الطفل.. وهذا الكمون يعني أن العقل ليس مجرد المخ: مجموعة من الخلايا والإنزيمات.."[2]

✓ يعنى أن الخطأ في عالم الطبيعة = ثغرات، والاعتراض على هذه الثغرات هي تجاوز لهذه المادة وإلا لو كانت تامة كاملة لما كان هناك معنى للخطأ، وعليه الشر مهم للخطأ = الشر مفهوم متجاوز = كيف تسأل عن مفهوم متجاوز للواقع المادي إلا أن تعترف بالماوراء..؟!

✎ أنتظر إجابتك..

---

1) Immanuel kant. 1788. Beschlub. pp 281-285.

[2]) علي عزت بيجوفتش، هروبي إلى الحرية، صفحة ٨١.

وبناءً على تفسير بوبر يكون الصدق والكذب، والخطأ والصواب ضرورة للبناء الحججي والمنطقي.. أي أن البناء الخوارزمي الذي قدمه زميلنا نيوتن هو قيمة تجاوزية فوق مادية عند بوبر..

✓ ولا يشك عاقل أن مفهوم الخطأ والصواب، والصحيح والكذب يعتمد في أساسه على وجود الشر والثغرة في هذا العالم..

وعليه نقول لزميلنا نيوتن هل ستستطيع بناء نموذجك المعرفي هذا في عالم لا يوجد فيه ثنائيات: خير وشر، صحيح وخطأ..؟ يا زميلي حتى نموذجك هذا المليء بالمغالطات يحتاج إلي قيم متجاوزة وإلى مفهوم الشر حتى تُقام أسسه..! وبعد هذا تنكر على المؤمن اعتقاده بأن في الشر حِكم لا يعلمها إلا من كتبها على البشر..!

✓ في عالم لا شر فيه، لا ثنائية فيه سيكون نموذجك، معرفتك، صوابك وخطأك قيم لا معنى لها ولا وجود لها بل هي العدمية التامة والاستحالة الكاملة .!

فهل هذا ما تريده يا زميلي.؟!



❸

رد أول من نيوتن

الزميل عمار أهلًا بك..

✍ أبدأ من حيث انتهيت في موضوع الإلحاد..

⇦ أنا بينت في موضوع منفصل في هذا المنتدى المصدر الطبيعي للأخلاق لذلك لا حاجة للإعادة في هذا السياق ويمكنك زيارة موضوع الأخلاق هنا:

http://www.eltwhed.com/vb/showthread...E1%E6%E5%ED%C9

✓ ثم على فرض أن العالم الطبيعي لا يفرق بين الخير والشر فهذه ليست مشكلة بل هذا حل أيضًا لمشكلة الشر..

⇦ المشكلة لا تحصل إلا عند الزعم بأن الكون يحكمه إله كلي القدرة والعلم والرحمة ثم تجد هذا الكون يمتلئ بالشرور... هذا الأمر يجعل الرؤية الإلهية متناقضة داخليًا.. لذلك تكون باطلة بغض النظر عن صحة البدائل المتوفرة من عدمها..

✍ ردك على المشكلة وعلى الأسئلة لم يحل شيئًا يا صديقي...

✓ فأولًا: أقررتَ بوجود الشر لكنك لا تريد نسبته لله مباشرة لكن بطريقة التفافية.. وهذا لا يحل الاشكال لأن كون هذا الشر ليس محضًا أو لحكمة لا يعلمها أحد لا ينفي أن هناك شرًّا خلقه الله أو سمح به بطريقة أو بأخرى..

✓ ثانيًا: مثال الطبيب والغرغرينا مغلوط.. لأن الطبيب محدود القدرة والعلم والرحمة في آن واحد.. فالطبيب قد لا يجد حلًّا إلا ذلك وهو لم يكن السبب في المرض.. لكن الله يستطيع أن يشفي الغرغرينا دون مشاكل..

⇦ بل في نظرتك أنت أن الله هو نفسه الذي خلق وصمم البكتيريا المسببة لهذا المرض.. فهل يعقل أن يخلق هذا الشر ثم يمنّ على الناس بأن يشفيهم منه، فضلًا عن أن يمنّ عليهم بقطع أرجلهم حفاظًا على حياتهم؟ هذا شبيه بأن يقوم أحدهم بجرحك ليبيعك ضمادات..

✓ ثالثًا: تقول أن عالمًا لا شر فيه غير ممكن منطقيًا لأنه يتعارض مع حكمة الله.. وأنا أقول أن عالمًا فيه شر غير ممكن منطقيًا كذلك لأنه يتعارض مع قدرة وعلم ورحمة الله..

⇦ في الحقيقة يا سيدي أن الصفات التي تنسب لله تجعل وجود أي شيء آخر غير ممكن، وجود الكون نفسه هو دليل على عدم وجود الله.. أي كيان كامل الصفات هو شيء لا يحتاج أي شيء آخر ووجوده منفردًا هو الحالة الأمثل والتي تقلل الشر إلى الحد الأدنى..



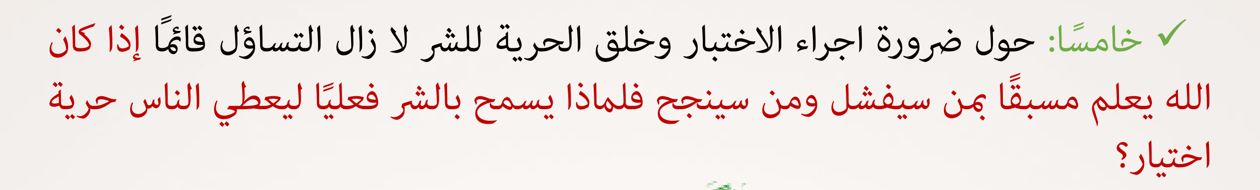
⇦ قيام هذا الكيان بخلق أي شيء آخر ليس على نفس مستواه هو من الصفات كلها، فهو بذلك يزيد من الشر الكلي لا محالة.. لذلك وجود أي كون ليس على درجة كاملة من الصفات ينفي وجود الله..

✓ رابعًا: تقول أن كونًا بدون شر مع حرية اختيار غير ممكن منطقيًا.. وهذا الدفاع يفشل من جهات عديدة:

❶ نعم يمكنني أن أتصور حرية اختيار بدون شر.. يمكن أن يكون هناك خير ولا خير، الخير نافع واللاخير غير نافع لكنه غير ضار في نفس الوقت.. الخير يسبب المتعة والاخير يحرم من المتعة لكنه لايسبب معاناة أو ألم..

❷ لو افترضنا أن بعض الشر ضروري فهذا لا يفسر كمية الشر المهولة كمًا و نوعًا.. لا نحتاج لقتل ملايين البشر لندرك أهمية الحياة..

❸ هذا الدفاع يتحدث فقط عن الشر الأخلاقي ولا يعالج الشر الطبيعي.. فما حاجتنا إلى الزلازل والبراكين والنيازك والأمراض الفتاكة لتكون عندنا حرية اختيار؟ هناك شر لا علاقة للإنسان به أساسًا، مثل الحيوانات التي تفترس بعضها البعض أو التي تموت جوعًا وعطشًا ومرضًا أو غير ذلك، وهناك شر متعلق بالإنسان لكن لا حرية اختيار له فيه كذلك مثل الأمراض والتشوهات الخلقية الطبيعية..



✓ خامسًا: حول ضرورة اجراء الاختبار وخلق الحرية للشر لا زال التساؤل قائمًا إذا كان الله يعلم مسبقًا بمن سيفشل ومن سينجح فلماذا يسمح بالشر فعليًا ليعطي الناس حرية اختيار؟

⇦ واحتجاجك بأن الله يريد أن يظهر صفاته مثل الشخص العليم ليتباهى بها يسيء لله وهو مثل الطبيب الذي يقول أنا أريد أن أنقل مرضًا صعبًا لك حتى أثبت لك أنني أستطيع علاجك منه..!



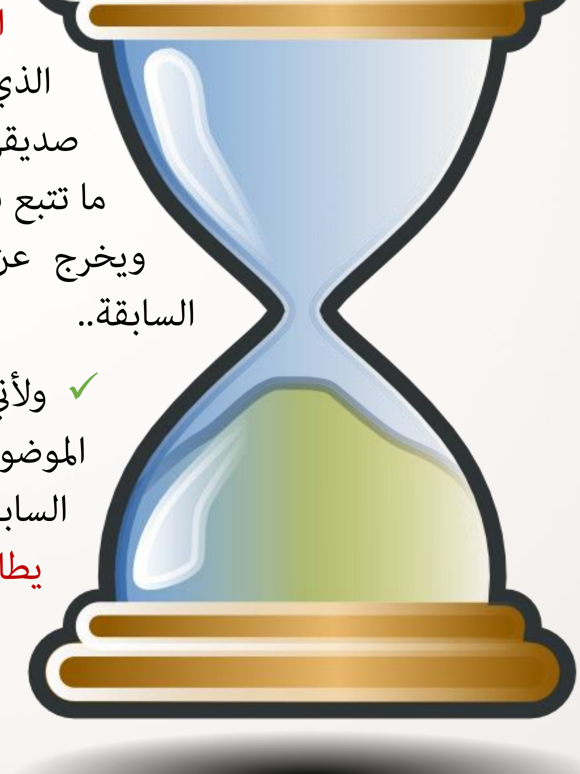
4

رد أول من أ. عمار

بسم الله الرحمن الرحيم..

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطاهرين وصحبه أهل الحق والدين..

✍ بدايةً ليست من أدبيات البحث العلمي أن أصرف وقتًا في البحث والمراجعة لإرساء وسبر المعاني في الإلحاد ورد كل اعتراضات زميلي المحاور.. ثم يحيلني الزميل إلى موضوع عام دون أن يرد على إشكالية واحدة من الإشكاليات التي طرحتها عليه..!



⇦ لقد تتبعت معضلتك فقرة فقرة، وفتتّها وأزلت الاعتراضات المتوهمة التي رسمتها من وحي خيالك الذي سأدلل عليه من نص (كلامك)..! فكان أقلها يا صديقي (نيوتن) أن تعطي نفسك من الوقت ومن التفكير ما تتبع فيه رد خصمك وتبين ما أخطأ به حتى ينضج الحوار ويخرج عن دائرة السلبية التي أشرت إليها في مداخلتي السابقة..

✓ ولأني لا أطيق طريقتك يا صديقي سأتتبع قولك في الموضوع الذي أحلتني عليه وأفتته كما فعلت في مداخلتي السابقة وطلبي الوحيد منك: تريث قبل الرد وأشعِر من يطالع الموضوع أننا لا نمارس ترفًا فكريًا، بل القضية أخطر من أن تعالج بالهروب السلبي الذي يعني: إذا تعرضت لمعضلة موهمة فهذا يعني أنه لا يوجد إله..! فيا سبحان الله والله المستعان..

✍ بدأ زميلنا في مشاركته عن الأخلاق بهذا العنوان:

" تعريف الصواب والخطأ الأخلاقي وكيف نميز بينهما؟ "

⇦ وهنا يقر الزميل ثنائية الصواب والخطأ دون أن يعطي لها مسوغًا إلحاديًا، لماذا هناك صواب وخطأ أصلًا حيث لو كنا في عالم مادي متطور في نسق مطرد مكتفٍ بذاته دون إله = لن يكون هناك معنى للصواب والخطأ لأنه عالم واحد لا ثنائية فيه، فكيف سيغير زميلنا هذه الثنائية وهذه الثغرات في العالم الإلحادي..؟! كنت وما زلت أنتظر..!

✓ وأعيد عليك إشكالات كارل بوبر التي لم تتفضل حتى وتعلق عليه وموضوعك الذي أحلتني عليه لم يتعرض لهذه الإشكالية البتة ومع ذلك مررت عليها مرور الكرام فلماذا يا صديقي..؟ [1]

أين جوابك على هذه الإشكالية في المنظومة الإلحادية وكيف ستقيم نموذجك الحججي دون الإقرار بالثغرة المادية والمعنى المتجاوز فوق المادي حسب قول بوبر..؟ لا زلت أنتظر الإجابة..!

وأزيدك تجربة أخرى من بوبر خاصة بـ(بسمة الطفل):

✎ يقول كارل بوبر: ابتسامة الطفل، هذا النوع من الفعل شبه غائي quasi-teleological يوحي بأن الطفل يعمل بالتوقع القبلي: a priori سيكولوجيًا بأنه محاط بأشخاص بوسعهم أن يكونوا ودودين أو عدائيين، أصدقاء أوغرباء.. هذا في ما أظنه يأتي سابقًا للوعي..



[1]) وهي الإشكاليات المطروحة في الصفحات : ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠ من هذا الكتاب.



❀ هذه المعرفة القبلية التي يقر بها بوبر والتي تشير إلى معرفة الطفل بالناس الودودين واللطفاء = هل تجد لها تفسيرًا في عالمك المادي المتناسق المنبثق من المادة..؟

✓ هل تفسير عبقري فلسفة العلم يتناسب مع هذا التعليل لك في موضوعك الذي أحلتني إليه..! والذي قلت لي به:

"الإنسان ينجذب للأشخاص اللطفاء الرحماء الكرماء الأوفياء الصادقين ويشعر بالاطمئنان والسلام حولهم وينفر من القساة البخلاء الكذابين..الخ ويشعر بالخوف حولهم، لذلك إن أراد أن يكون مع الصنف الأول فلا بد أن يتحلى هو نفسه بنفس الصفات"

✓ هل تفسيرك الذي بين قوسين يستطيع أن يفسر ضحك الطفل الذي يعرف بموجب فطرته من هم اللطفاء ومن هم أهل الغلظة معه..؟! لننتظر الجواب..

✍ نقطة أخرى تخرم مفهوم الصواب والخطأ عندك (الصيغة المطورة لبرهان هالدان للمادية):

يقول هالدان:

" إذا كانت المادية حقًا فلن يمكننا أن نعرف أنها الحق فإذا كانت آرائي نتاج عمليات كميائية تجري في دماغي، ستكون محددة بقوانين الكيمياء لا بقوانين المنطق البشري.. "

⇦يزيد عليها كارل بوبر مفهوم الصواب والخطأ فتصبح المعضلة: كيف للكيمياء التي تعمل آليًا أن تنتج منطقًا صحيحًا وخطأً على المستوى البشري بمعنى الألم واللذة، وبمعنى الخير والشر، والأخلاقي واللا أخلاقي..؟؟ من أين اكتسبنا مفهوم الصحيح والخطأ لتطوير النظريات والحكم على أفعال البشر..؟؟

✓ على فرض القبول بأن الخلايا هي التي تنتج الفكر وسلوكه فنطرح سؤالًا: [هل الإنسان متحكم أو مدرك لحركة هذه الخلايا]..؟

⇦ إلزام هذه الإشكالية: بما أننا نقر أننا الآن لا نشاهد حركة هذه الخلايا ولا تفاعلاتها فهي خارج الحيز الإدراكي لنا وخارج سيطرتنا، وعليه سيكون أي فعل يصدر من الإنسان منتفيًا للقصد أيضًا لأن حركة هذه الخلايا وتفاعلاتها خارجة عن إرادته وعن إدراكه ويترتب على هذا الإلزام نفي أي حكم بالخير أو الشر عن أي فعل إنساني لأن القصد ممتنع مع تحكم هذه الخلايا بشكل غير مُدرك على أفعال الإنسان وسلوكه..!

❀ ثم يقول زملينا في الموضوع الذي أعادني له: " التعريف الذي يمكن أن يوافق عليه غالبية البشر أن الصواب الأخلاقي هو ما يسبب السعادة والصحة والرفاهية ويقلل الضرر والمعاناة غير الضرورية بينما الخطأ الأخلاقي هو ما يسبب الضرر والمعاناة غير الضرورية ويقلل السعادة والصحة والرفاهية "

ما هذا التعريف الهجين للأخلاق..؟! يبدو أن القيم النفعية المصلحية البراغماتية هي من أثرت عليك فلم تفرق بين المصلحة والواجب كما يسميه بيجوفتش[1] حيث يقول بيجوفتش في مثال واضح:

" هب أن غامر إنسانٌ بحياته فاقتحم منزل جاره الذي يحترق لينقذ طفله الصغير، وعندما اقتحم هذا الرجل البيت عاد بالطفل وقد مات وأثر هذه الحروق عاش هذا الرجل مقعدًا متخمًا في جروحه.. "

الآن حسب تعريف نيوتن للأخلاق (يسبب السعادة والصحة والرفاهية ويقلل الضرر والمعاناة غير الضروية بينما الخطأ الأخلاقي هو ما يسبب الضرر والمعاناة غير الضرورية ويقلل السعادة والصحة والرفاهية) هذا الرجل فعله غير أخلاقي ولا عقلاني، ولم يسبب سعادة ولم يسبب صحة بل سبب مرضًا ولم يرفع ضررًا غير ضروري، النتيجة لهذا الفعل حسب مفهوم نيوتن هو أن الرجل هذا فعله غير أخلاقي لأن نتائجه لم تتوافق مع أي نقطة من نقاط تعريف نيوتن..

فهل البشرية متفقة على هذا التعريف الهجين..؟؟

نترك زميلنا يجيب..!

---

[1]) راجع الإسلام بين الشرق والغرب (صفحة ١٧٧).

يقول علي عزت بيجوفتش أيضًا: " إن عظمة العمل البطولي ليست في نجاحه حيث أنه غالبًا ما يكون غير مثمر (ماديًا).. لن ترى تفسيرًا إلحاديًا للتضحية كقيمة.. "[1]

✍ فهل من تفسير مرة أخرى لهذه الأقوال يا صديقي..؟

❀ ثم تدخل نفسك يا صديقي في معضلة متوهمة ليس إلا وتقول:

" فهل هذا الأمر سيء لأن الله نهى عنه أم أن الله نهى عنه لأنه سيء، إن كان الأول فالأخلاق ستصبح عشوائية، وإن كان الثاني فهذا يعني أن الله يلجأ لمعايير خارجة عن نفسه ليحدد ما هو الصواب من الخطأ.. "

✓ الأمر السيئ الذي فرضه الله على عباده: مفعولاته، هو خير في فعله.. أظن أني فصلت فيه كثيرًا في المداخلة السابقة ولن تتعرض له بناءً على فهم الثنائية، وعليه يا صديقي، الأمر السيئ جعله الله موجودًا لحكمته فهو ما جَعل الله على عباده فيكون سيئًا بمنظورك فقط، أما على مستوى فعل الله فهو خير لأنه متضمن كل الحكمة والعلم وأعيدك لما كتبت في المشاركة السابقة:

" حيث مفهوم الرحمة (الجيد) لا يتصور دون ألم وتعب (سيء) وبضدها تتمايز الأشياء، واللذة مرتبطة بالألم من حيث المفهوم حيث لا تفهم اللذة دون معرفة الألم، ومن حيث الشعور حيث أن الإنجاز بعد ألمٍ وتعب = شعور قوي باللذة، ومثله في الجوع إذا اشتد تكون لذة الإشباع أكبر وأكبر.. "



[1] (الإسلام بين الشرق والغرب، مبحث الأخلاق)..



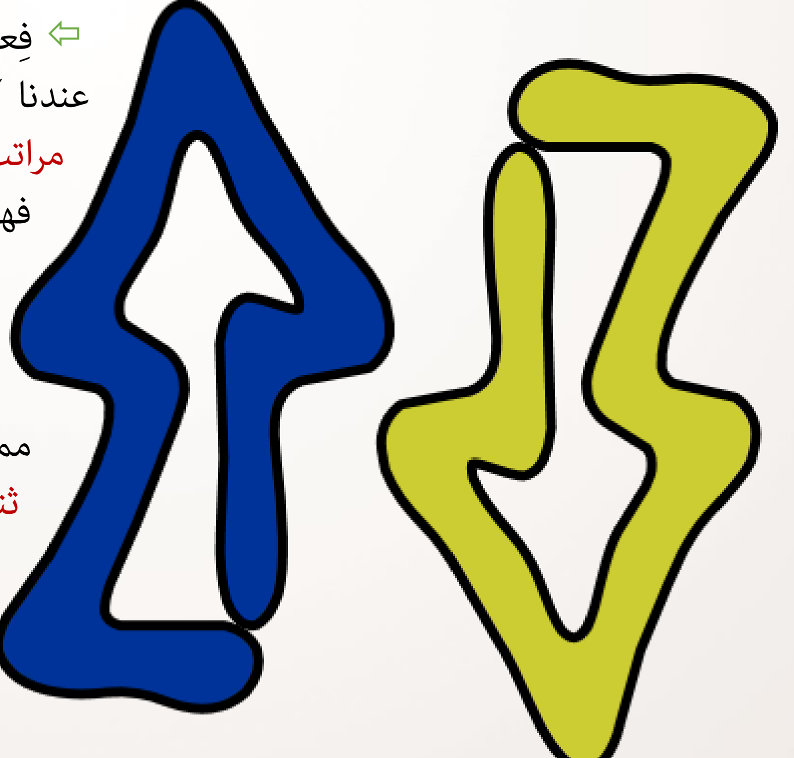
⇦ أن تعرف الخير وتعرف البركات وهذا لوحده قمة الخير فيرد عليه السيئ للخير لأنه يبين معناه.. فكليًا = كل فعل الله خير، لأنه لا معنى للخير في عالمك الوحدوي المنزوع القيمة، لأن القيمة تحتاج إلى صواب وخطأ ولأن الصواب والخطأ هي مفهوم متجاوز = لابد من أن هذه المنظومة ما ورائية لا مادية إلحادية.

✓ وبمعنى أوضح أن هذا السيئ الذي تفترضه منفصلًا عن الله تارة، ثم إذا كان لزام فعله تجعله عشوائيًا.. كل هذا ليس بلازم إذا فهمت أن الكون تحكمه ثنائيات وهذا ما أسست له في المشاركة السابقة، قلت ولا زلت أقول:

✍ القول الذي يريد إعدام الشر كليًا في العالم لابد وأنه يتكلم عن عالم متماسك بشكل عضوي، لا تتخلّله أية ثغرات، ولا يعرف الانقطاع ولا الثنائيات، خاضع لقوانين واحدة كامنة فيه لا تفرق بين الإنسان وغيره من الكائنات، فهو عالم يتسم بالوحدوية المادية الصارمة وهذه كلها صفات (الطبيعة / المادة)..

❀ ولتوضيح أكثر خَلق الله على مفعولاته: الخير – الشر..

⇦ فِعل الله تعالى وهو الخلق والذي يستلزم عندنا كما لا تعلم أن الخلق آخر مرتبة من مراتب القدر.. أن يسبق هذا الخلق علم تام، فهذا الخلق المتضمن للعلم التام = على فعل الله خير وكمال، فلو خلق الله خيرًا دون ثنائية له = وقعنا بالوحدوية ولم يتميز معنى قط.. وهذا ممتنع ثم ممتنع ثم ممتنع، لأن لو أجزنا عالمًا دون ثنائيات لن يكون هناك خالق ومخلوق، خير وشر، إنسان وطبيعة: حلول واتحاد وصيرورة مادية لا يمكن أن يكون فيها للصواب والخطأ مكان.





✓ وهذا التفسير بالثنائيات هو الذي أعاد المسيري المادي الجَلد إلى سعة تفسير الدين، وتعريف المسيري للعالم والإنسان بحكم الثنائيات = (أكثر منطقية وتماسكًا) من تعريفك المتناقض مع نفسك.

⇦ فتعريف المسيري أكثر منطقية ومعقولية ومتناسق مع تفسيرات بوبر للخطأ والصواب واللغة..

❀ فهل أطروحتك للخير والشر وتعريفاتك متماسكة منطقيًا أم هي سلب دائم لا تجيد إلا الاعتراض ولا تحل أي إشكالية..؟؟

⌘ أترك الجواب للقارىء الكريم..



✍ الخلاصة: التوهم أن الأخلاق إما أن تكون في فعل الله عبثًا، أو أن تكون منفصلة عنه فيكون محتاجًا، هذا توهّم غير ملزم لأن زميلنا في تعريفه للأخلاق لم يستطع أن يرجعها لمصدرية مادية حسب إلحاده، والمشاركة السابقة دالة على ذلك بتركها كلها..!

✓ ولأن زملينا يفرض أن فعل الله يجب أن يكون كما يريد (نيوتن) وهذا ما عابه عليّ عندما استخدمت مثال الطبيب حيث قال:

" مثال الطبيب والغرغرينا مغلوط لأن الطبيب محدود القدرة والعلم والرحمة في آن واحد.. فالطبيب قد لا يجد حلًا إلا ذلك.. "



✓ وعلى هذا أقول: اعتراضات نيوتن كلها مغلوطة.. السبب أن نيوتن (محدود القدرة والعلم) كما قال هو نفسه، فكيف يجيز لنفسه أن يقترح حلولًا على كلي القدرة والحكمة خاصة أنه مقرّ في معنى الحكمة والقدرة والعلم..؟!

❀ فكيف ثم كيف لمن عرف معنى الحكمة وشاهد عظمتها في خلق الإنسان وخلق سؤاله نفسه وأركانه المحكمة، بل حتى الشر عليه من أعلى معاني الحكمة كيف لهذا المحدود العلم والقدرة أن يطلق حكمًا إذا كان الله هو مصدر الأخلاق = (فالأخلاق ستصبح عشوائية) = إن قليل القدرة والعلم والحكمة (نيوتن) يصدر حكمًا على الله ويجيزه لنفسه ثم يلزمني بمثال الطبيب ألا أستدل بالطبيب على فعل الله (لماذا)؟ لأن الطبيب قليل العلم والحكمة والقدرة..!

❀ فيا سبحان الله على هذا التناقض العجيب..!

⇦ الإشكال إلى الآن أنك لا زلت تسقط في إشكالية أن ما هو شر عليك = لِزامًا أن يكون شرًا على فعل الله وهذا في صفة الكمال ممتنع، لأن المقدّر الحكيم حينما يقدر أمرًا سيئًا عليك لعلمه التام وحكمته التامة = هناك من الخير وراء ذلك ما لا يحصى كما مثلت لك في المشاركة السابقة ولم تعلق عليها..



✓ وللمزيد من التناقضات في مشاركة زميلنا نيوتن يقول من رده على مثال الطبيب الذي وضعته له:

" مثال الطبيب والغرغرينا مغلوط لأن الطبيب محدود القدرة والعلم والرحمة في آن واحد... "

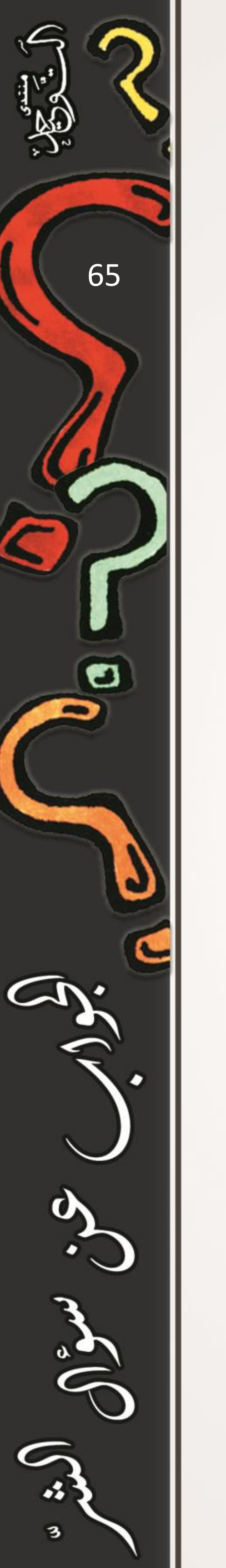
✓ معنى كلامك يا زميلي (نيوتن) أن الطبيب محدود القدرة والعلم لا يحق له أن يتصرف كما يتصرف الإله لأن الله كلي القدرة والعلم والحكمة = ممتاز وأوافقك عليه، لنرى نيوتن ما فعل الآن..

❀ يقول نيوتن محدود القدرة والعلم معترضًا على الله كلي القدرة والعلم:

" ولو افترضنا أن بعض الشر ضروري (فهذا لا يفسر) كمية الشر المهولة كمًا ونوعًا "

✍ ما هي نسبة الشر الضروري التي يجب أن تكون على الله يا صديقي نيوتن محدود القدرة والعلم وكيف سترتبطها بالحكمة..؟ وهل يحق لك يا محدود القدرة والحكمة والعلم أن تخرج لنا بنتائج تسميها معقولة تجريها على كلي القدرة والعلم..؟! غريب.

⇦ ثم يورد بعد ذلك هذا المثال زميلنا لمزيد من تناقضه فيقول معترضًا على الشر الذي يصيب الحيوانات:



" هناك شر لا علاقة للإنسان به أساسًا، مثل الحيوانات التي تفترس بعضها البعض أو التي تموت جوعًا وعطشًا ومرضًا أو غير ذلك.. "

يعترض صديقنا نيوتن على الشر الذي يقع على الحيونات وهناك ارتكب مغالطتين كبيرتين:

❶ الأولى هي الإسقاط النفسي (Psychological Projection) حيث أسقط شعوره البشري بالضعف أمام هذا الداء على الله وهذا عين ما أنكره عليه في مثال الطبيب حيث أن الطبيب محدود القدرة محدود العلم لا يجوز أن يتصرف كما يتصرف الإله كلي القدرة والعلم..

✓ ونعيد الأمر: اعتراضك يا نيوتن يا محدود القدرة ومحدود العلم والحكمة كيف تجيزه على الله وتمنعه عن الطبيب إلا إذا وقعت بإسقاط كلي حيث فرضت ما يجري على الله هو ذاته ما يجري عليك، فتثبته في نقاشك عن الشر وتمنعه حينما أحتج عليك بالطبيب...؟!

❷ المغالطة الثانية الناتجة عن هذا الإسقاط النفسي، أنه لو فرضنا تقليل هذا القتل والشر بمفهومنا نحن البشر، سوف تفنينا الحشرات في أقل من سنة..! لأن الكون لم يتسع إلا لها..!



✓ وفي ولاية أريزونا تمت تجربة في القرن العشرين على ٤٠٠٠ آيل، حيث سمحت الحكومة في أن يصطاد الناس مفترسات الأيائل وهذا الكلام كان في سنة ١٩٠٧.. في سنة ١٩٢٤ كان عدد الأيائل ١٠٠ ألف آيل، وبسبب تدخل البشر ورحمتهم المصطنعة نفق منها خلال سنتين أي إلى ١٩٢٦ ٥٠ آيل..[١]

✎ لقد غاب عنك ياصديقي مصطلح التوازن الرحيم..

✓ الآن هل نتبع قول نيوتن الذي هو محدود القدرة محدود العلم والحكمة..؟ أم نتبع كلام كلي العلم والقدرة الذي وضع الميزان والحكمة وأتقن كل شيء صنعه..؟!

✍ أعود لبعض ما جاء في مشاركتك فتقول:

" ثم على فرض أن العالم الطبيعي لا يفرق بين الخير والشر فهذه ليست مشكلة "

❁ يا رجل هذا لزام إلحادك أصلًا..! إلا أن تبين فك معضلة الصواب والخطأ في برهان كارل بوبر في اللغة، وبرهانه على الأطفال، وبرهان هالدن، ثم بناءً على فرضك هناك بعض الإشكالات العالقة، كيف حلُّها..؟ [٢]

---

[١]) يراجع محاضرة الدكتور عدنان ابراهيم، الرد على معضلة الشر، استشهده به عمدًا لانه من المعروف انه لا نوافق على فكره كلا ولكن با يمنعنا من أخذالحق من فمه..

[٢]) يُراجع المثال المطروح في الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب..



✍ ثم تقول يا صديقي:

" يمكنني أن أتصور حرية اختيار بدون شر.. يمكن أن يكون هناك خير ولا خير، الخير نافع واللا خير غير نافع لكنه غير ضار في نفس الوقت.. الخير يسبب المتعة، واللا خير يحرم من المتعة لكنه لايسبب معاناةً أوألمًا.. "

❶ حتى في تصورك الذي حاولت أن تؤسس به عالمًا بلا شر، اضطررت إلى مفهوم الشر حيث قلت (لكنه لا يسبب معاناةً أو ألمًا) ولهذا قلت لك فيما سبق لا تستطيع الانفكاك من الثنائية.. وها أنت أثبت كلامي هذا بتعريفك حيث أنك اضطررت لتُعرف عالمًا لا شر فيه أن تلجأ لمعنى الشر..! (غريب) هذه أول نقطة.

❷ النقطة الثانية: فصل لي كيف ستحثنا على الخير في عالمك الذي لا شر فيه، أنت تؤسس لحالة من العدم دون أن تدري، والمعروف في كل العلوم الإنسانية والتسويقية المادية، أن الذي تسميه [سعادة] يكون مبنيًا على [الحاجات - Needs] وعلى [الفجوة - Gap] بين حاجاتي وتحقيق الرغبة من خلال مجموعة من المنتجات..

✓ هذا يعني: كل فعل يسبب سعادة مادية يحتاج إلى منتج يسد حاجة معينة = هذه الحاجة لابد وأنها شر، عليه هل تستطيع أن تتصور لنا عالمًا لا خير فيه دون حاجة وتبني عليك عالمك الطوبوي هذا.. يبدو أنك متسرع قليلًا في طرح رأيك يا صديقي فتقع في إشكالات لا حد لها...!



❸ النقطة الثالثة يقول صديقنا نيتشه:

" إن ما يغذي وما يقوي نوعًا أعلى من الناس يكون حتمًا [سمًا] بالنسبة لنوع آخر مخالف.. "[1]

✓ يبدو أن صديقنا الفيلسوف نيتشه ينسف قولك أن عالمًا لا خير فيه عدمي ممتنع لأنه سيصبح عندنا نوعان من البشر:

❖ من يتنعم بالخيرات..

❖ من في حالة عدمية لا خير فيها ولا شر ولا معنى ولا حاجة..

⇦ الصنف الثاني إذا كان فقط يفكر لابد أن يكون الخير الذي مع الصنف الأول شرًا وسمًا عليه = الأخير الذي قلته حسب تصور أبسط البشر هو شر.

✍ وآخر شيء لي مع مشاركتك هذه الجملة:

" حول ضرورة إجراء الاختبار وخلق الحرية للشر لا زال التساؤل قائمًا: إذا كان الله يعلم مسبقًا بمن سيفشل ومن سينجح فلماذا يسمح بالشر فعليًا ليعطي الناس حرية اختيار؟ واحتجاجك بأن الله يريد أن يظهر صفاته مثل الشخص العليم ليتباهى.. "

❀ لماذا تقوّلني ما لم أقل..؟! هذا كلامي: أن لا الله لا يفعل بمفهوم العوز، بل كل عليم لابد أن يظهر علمه ومثلت لك (بالقوة والفعل) وراجع أبسط معجم فلسفي لتفهمها أكثر يا صديقي..[2]

---

[1]) ماوراء الخير والشر، ترجمة إحسان بورقية، دار أفريقيا للنشر..

[2]) لمراجعة ما قاله أ. عمار، انتقل للصفحات ٤٠، ٤١، ٤٢ من هذا الكتاب..



✍ المطلوب من الزميل نيوتن:

✓ أن يرد عن تفسيره للصحيح والخطأ بناءً على أطروحات كارل بوبر:

❶ بالنسبة للّغة.

❷ بالنسبة لضحك الطفل.

❸ بالنسبة لتطوير برهان هالدن.

✓ أن يرد على كل المتناقضات التي ألزم بها نفسه باعتراضه على مثل الطبيب محدود القدرة والعلم والحكمة.

✓ أن يفند أطروحة العقل والأخلاق المتجاوزة في المشاركة السابقة.

✓ أن يفسر كيف عندما أسس لتصور عالم لا خير فيه اضطر إلى مفهوم الشر والثنائية..؟!

✓ أن يبين تفسيرًا منطقيًا ومتماسكًا للأخلاق والخير والشر في الإلحاد بناءً على قوله [يريد تعريف منطقي ومتماسك] فليكرمنا به وينتقد كامل كلامي.

✍ أخيرًا أنقل قول أستاذنا عبد الله الشهري: عن الإلحاد السلبي الذي تثبته يا صديقي:

" لا يمكن لإنسان أيًا كان في قضية وجود الخالق أن يحكم على الخالق بحكم إلا وقد سبق ذلك الحكم تصور معيّن عن الخالق الذي يريد الحكم عليه.

حتى المُلحد الجلد لا يمكنه إنكار الصانع إلا وحكمه فرع عن تصور معين لخالق يأباه ولا يوافق عليه، إذ يستحيل أن يخوض المُلحد في قضية ممتنعة لذاتها (أي مستحيلة استحالة تامة) أو قضت ضرورة العقل بانتفائها، فهذا عبث وسفه، مثال ذلك أنك لا تجد عاقلًا يخوض بنظره ويجول بفكره للبرهنة على إمكان اجتماع النقيضين – كاجتماع الوجود والعدم - لأن علم ذلك (أي علم استحالة اجتماعهما) ضروري مركوز في النفس ومجرد محاولة البرهنة على إمكان ضد ذلك سفه وجنون يتباعد عنه حتى أخبث الملاحدة.

✓ وهكذا الخالق فإنه ليس شيئًا ممتنعًا لذاته ولا يحكم العقل بضرورة انتفاء وجوده، لأنه لو كان كذلك لكان إثبات امتناع وجوده أسهل من إثبات وجوده، بل لن يكون هناك حاجة لتجشم إثبات امتناع وجوده لأن الضرورات لا تفتقر إلى نظر، وعليه فوجود الخالق ممكن في أقل الأحوال مجاراةً للمخالف، والممكن لا يُمكن الحكم عليه بنفي أو إثبات إلا بدليل، فوجب على المُلحد إثبات عدم وجود الخالق بالأدلة كما أنه هو يطلب من المثبتين المؤمنين إبراز الأدلة على وجوده.



✓ وإذا بلغنا هذه المرحلة - أي الكلام في الممكنات - لعبت التصورات الشخصية والميول النفسية دورًا [عظيمًا] في هذه المسألة، فعاد إلحاد الملاحدة إلى تصور معين لا إلى أن عدم وجود الخالق مسألة ضرورية أو أن النظر في الأدلة لا يقضي إلا بذلك، فهم لا يقولون بذلك ولا يجرؤون، ولكن الدهاة منهم يحاولون بالتمويه أن يصوروا لعامة الناس أن المسألة كذلك، وهذا ليس بشيء.

فافهم هذا التأصيل وتأمله جيدًا يزول عنك بإذن الله أصل الإشكال أو أكثره.. " [1]

✍ وختامًا يقول الدكتور الطيب بو عزة :

" هل استطاعت الفلسفة الوضعية بتسفيهها لمبحث ما بعد الطبيعة أن تُحدّ من تعلق الإنسان بأسئلة الوجود الكبرى؟ هل استطاع العقل الفلسفي المادي بنزوعه الإلحادي أن يطفئ جوعة الإيمان في النفس البشرية؟ إن البديل الذي قدمته الفلسفة المادية هو الإيقاع بالوعي في عدمية المعنى، بسبب من تجاهلها للأساس الديني القادر وحده على إعطاء دلالة الوجود.. " [2]

---

[1]) رابط الموضوع: https://www.facebook.com/notes/abdul...50388528052176

[2]) http://webcache.googleusercontent.co....J0QFMyQP.dpuf

5

رد ثانٍ من نيوتن

✍ يا عزيزي ما ذنبي وذنب من يتابع الحوار أن تضيع أوقاتنا بنقل كلام من الفيسبوك؟ نحن لسنا في مسابقة لكتابة رد أطول وملئها بحشو الكلام.. أنت تركت قضية حوارنا وذهبت ترد على الموضوع الآخر.. هل تظن أن هذا الأسلوب سيتوّه القارئ عن ضعف حجتك وعدم معالجتك بجدية للنقاط الخمس التي ضحدت بها دفاعك الأول عن إمكانية وجود شر في عالم يوجد فيه شيء بمواصفات الإله الإسلامي المسيحي اليهودي.

✓ ما علاقتنا بكارل بوبر؟ هل تظن أن استخدام بعض الأسماء الأعجمية هو حجة في حد ذاته؟ غالبية العلماء هم طبيعيون فلماذا يكون بوبر صحيحًا والغالبية خطأ؟ أنا لن أستخدم سلطة ولا غالبية. الصواب والخطأ يمكن أن يكون أمرًا طبيعيًا.. وقدرة الدماغ على التجريد لا تستوجب وجود شيء غير مادي.. وتفسيري للأخلاق كافٍ وهو أساس لكيفية نشوء الأخلاق التي بعد ذلك يمكن أن تحفظ خلال التطور على شكل حتى الأطفال سيحملونها.. لكن لا أريد أن أنجرّ بعيدًا وأسترسل فيما ليس من موضوع الحوار..



✓ وتعريفي للصواب والخطأ الأخلاقي صحيح حتى لو كان هناك بعض مشكلات التطبيق، فالرجل الذي يغلب على ظنه أنه سيموت إن حاول إنقاذ طفل دون أن ينقذ الطفل فمن الطبيعي أن يكون إقدامه على ذلك عملية غير أخلاقية. ويبدو أنك لم تفهم معضلة يوثيفرو حول إمكانية أن يكون الله مصدرًا الأخلاق وبدلًا من أن تعطي تفسيرًا منطقيًا لمذهبك تحاول فقط مهاجمة الطبيعية.



⇦ في موضوع الطبيب فلا أدري كيف فهمت ما فهمته حقيقة؟ طريقة سيئة وغير أمينة في النقاش.. الطبيب محدود القدرة لم أتحدث عما يحق له.. مقصدي كان واضحًا.. الطبيب محدود القدرة لذلك نتفهم أن ينتج منه بعض الشر لكن إله كلي القدرة فلا عذر له في ذلك..

✓ ثم تريد أن تخبرنا أننا لا نستطيع أن نحكم على أفعال الله بسبب محدوديتنا، ممتاز جدًا.. بنفس الحجة يمكنني أن أقول لك أنك لا تستطيع أن تحكم على أي شيء.. فإذا كانت حكمة الله اقتضت قتل الملايين ومعاناة المليارات ولا يحق لنا التساؤل حول ذلك.. فما الذي يضمن لك أن كتبك المقدسة ما هي إلا خدعة كبيرة من الإله لحكمة لا يعلمها إلا هو..؟

⇦ يجب أن يكون عندك ميزان واحد للحكم على كل الأمور فإن اقتنعت أن إلهك صادق ولا يمكن أن يكذب بحرف واحد فلماذا تصدق أنه يبقى رحيمًا حتى لو تسبب أو سمح بمعاناة المليارات؟ وفقًا لحجتك أنت نفسك، الحكمة يمكن أن تبرر كذبه كما يمكن أن تبرر تسببه بالشر.. وأي شيء لا تستطيع تبريره في هذا العالم ولا يتوافق مع إلهك تلجأ وتقول لي الحكمة..

❀ أرجو عدم تجاهل هذه النقطة..

✓ بالنسبة للتوازن الطبيعي فهذا ليس توازنًا رحيمًا.. هذا توازن يثبت بالفعل أن هذا الكون لا يلقي لنا بالًا وليس مصممًا لنا بأي شكل من الأشكال. ٩٩% من الأنواع التي عاشت على الأرض انقرضت أساسًا قبل ظهور الإنسان.



⇦ الاغتصاب مؤذي نفسيًا وجسديًا وكثيرًا ما يؤدي للقتل لذلك هو غير أخلاقي..

✓ أعطيتك تصورًا لعالم خالٍ من الشر فرجعت تقول لي مجرد تصورك للشر يعني أن الشر ضروري.. المعاناة والألم شيء طبيعي.. وإن كانت مشكلتك أن يفهم الناس فقط هذه الثنائية بين الخير والشر فالله يفترض أنه قادر على خلق الناس بحيث يتصورون الشر لكن لا يستطيعون اقترافه..

✓ حول أن الله لا بد أن يظهر علمه فلا أرى أنك قدمت أي حل.. فإن كان كلي القدرة فلا شك أنه سيجد طريقة يُظهِرَ فيها علمه دون معاناة المليارات..

✓ أخيرًا ولأن هذا ردي الأخير أريد أن أعيد ذكر نقطة مهمة وردت في ردي السابق في النقطة الثالثة سريعًا وتسمى [البرهان الكوزمولوجي على عدم وجود الله] ومرتبطة بمشكلة الشر وهذه الحجة هي كالتالي:



❶ إذا كان هناك إله كما يتم تعريفه في الإسلام فإن العالم الذي يتواجد فيه هذا الإله منفردًا (سمِّه عالم الله) هو أفضل عالم ممكن.

❷ قيام الله بخلق أي شيء ليس على نفس المستوى من كمال الصفات سيؤدي لتدهور في الحالة الكلية للوجود.

❸ إذا كان (عالم الله) هو أفضل عالم ممكن، فإن هذا الإله سيحافظ على وجود هذا العالم.

❹ الكون موجود بصفات أسوأ من صفات الله، إذن (عالم الله) غير موجود.

❺ إذن الله بالتعريف الإسلامي غير موجود.

6

رد ثانٍ من أ. عمار

⇦ اتهامات في الجملة، و شخصنة للأمور و الله المستعان نبدأ مع الصديق نيوتن:

" يا عزيزي ما ذنبي وذنب من يتابع الحوار أن تضيع أوقاتنا بنقل كلام من الفيسبوك؟ نحن لسنا في مسابقة لكتابة رد أطول وملئها بحشو الكلام "

✍ بكل صراحة يا صديقي، إني لأعجب من هذا الرد، ما نقلته من الفيس بوك هي عبارة عن ثلاث روابط و كلها في صلب ما تطلب، لنرى: الرابط الأول للأستاذ محمد أبو زيد[1] يتكلم فيه عن الصواب الذي يطلبه الإدراك لصياغة المفاهيم وأنت لم تستطع أن تقدم أبسط تصور للكون دون شر..

⇦ بل لما حاولت هنا:

" نعم يمكنني أن أتصور حرية اختيار بدون شر.. يمكن أن يكون هناك خير ولا خير، الخير نافع واللا خير غير نافع لكنه غير ضار في نفس الوقت.. الخير يسبب المتعة واللا خير يحرم من المتعة لكنه لا يسبب معاناةً أو ألمًا.. "

[1] رابط الموضوع: https://www.facebook.com/notes/moham...51384142858461

✓ استعنتَ بمفهوم النقيض للخير الذي هو المعاناة والألم والذي هو شر فلم تتخلص من الشر في التصور الذي قدمته وهذا منك تناقض..! ونقلت لك ثلاثة إشكالات ومنها إشكال مستشهدًا به بكلام نيتشه ولم ترد إلا بتسفيه نقل مخالفك بعض الروابط التي لها صلة بالموضوع من الفيس بوك مع التوثيق.

✍ الاستشهاد الثاني من الفيس بوك كان للأستاذ عبد الله الشهري[1] وهو عن تصور الملحد لله وإشكالية هذا التصور.. ونحن نتكلم عن الله وعن تصور صفاته، فلماذا تنكر عليّ هذا النقل..؟!

⇦ تعصب منك لا أدري ما سببه..!

✍ وأما الثالث فهو للدكتور الطيب بوعزة[2]، يطرح سؤالًا عن البديل الذي قدمته الفلسفة الإلحادية لهذه الأسئلة الوجودية والتي من ضمنها الأخلاق بلا شك، فأين المشكلة عندك..؟

✓ ومع هذا لم يتم تقديم أي بديل إلحادي منك، بل هو المنهج السلبي على طول الخط: الانتقاد (نيوتن)، يرد (عمار) ويطرح إشكالًا، ينتقد (نيوتن) دون أن يرد على الإشكال..!! منهج سلبي كما قلت لك في أول مشاركة دعنا نثري الحوار لا نجعله نقاشًا سلبيًا.. لكنك تصورت أنك في حلبة مصارعة تسدد ضربات نهائية لخصمك والحصيلة أنك كنت تضرب في الهواء..!

---

(1) رابط الموضوع: https://www.facebook.com/notes/abdul...50388528052176
(2) رابط الموضوع: http://webcache.googleusercontent.co....J0QFMyQP.dpuf



وتكلمت عن الرد الطويل..! هذا حوار ومناظرة، يتطلب منك تتبع قول خصمك ورد إشكالاته وطرح ما عندك من تصور للمفاهيم التي تتكلمون عنها، فهذه مناظرة وليست دردشة على قهوة..!

✓ ثم كم نسبة نقلي من الفيس بوك بالمقارنة بالكتب..؟ أتريد أن أنقل لك ١٢ مراجع دون الفيس، ثم هل نقلت أنت من مرجع علمي واحد لتتكلم بهذا الأسلوب..؟!

❀ سبحان الله..

" ما علاقتنا بكارل بوبر؟ هل تظن أن استخدام بعض الأسماء الأعجمية هو حجة في حد ذاته؟ غالبية العلماء هم طبيعيون فلماذا يكون بوبر صحيحًا والغالبية خطأ؟ "

❀ من قال أن استخدام الأسماء الأعجمية حجة بحد ذاتها..؟!!! كل ما في الأمر أن مسألة الصواب والخطأ التي بنيتَ عليها موضوعك في الأخلاق واجه نقدًا شديدًا حسب أطروحات بوبر - العبرة في قوة حجة بوبر ومن يستدل بها لا في بوبر نفسه – ودليلي أنك لم تستطع حتى الرد على واحدة من الاعتراضات الثلاثة (اللغة، الطفل وبرهان هالدن)..

✓ يبدو يا صديقي أن عدم وجود الجواب حوّل مسارك إلى هجوم وانتقاص.. ولكن نصبر وعلى الله الأجر، وندع للقارئ الحكم.



" والخطأ يمكن أن يكون أمرًا طبيعيًا وقدرة "

وبعدها تقول:

" وتعريفي للصواب والخطأ الأخلاقي صحيح "

غريب تنتقل من الإمكان الذي هو من أسس الشك إلى دوجماطيقية[1] مفرطة بدعواك أن تعريفك هو الصحيح..! وكما أبهرتنا في عمق المعرفة الفلسفية عندك فإن الدوجماطيقية تعني: اليقينية القطعية ولكن عندك أصلها هو رأيك وفقط وهذا تشخيص وإسقاط معرفي جميل بكل صراحة.



✓ وأما قولك أني لم أفهم.. أدعها أيضًا للقارئ الكريم، وكلامك عن أني لم أتكلم عن مذهبي في الأخلاق فهذا وهم منك، في كل ردي أنا أتكلم عن الثنائية وتكلمت عن نظرة الدكتور المسيري فيها والتي وقعت فيها أنت عندما حاولت تصور عالم دون شر، فكيف تقول أني لم أتكلم..؟! لا أدري..!

---

[1]) وليم جيمس ايرل، مدخل إلى علم الفلسفة، ترجمة عادل مصطفى.

⇦ ثم تعود إلى مثال الطبيب وتقول:

" الطبيب المحدود القدرة لم أتحدث عما يحق له "

✍ أليس ما يحق لنا من خيارات هو قدرتنا..؟ وأليس متعلق ما هو حق في فعلنا هو مناط القدرة..؟ صراحةً ردودك عجيبة وغريبة يا صديقي.. وأعود وأكرر لا يحق لك الاعتراض على الله خاصة أنك محدود العلم والقدرة، فلا يجوز أن تنتقد مثال الطبيب بحجة محدودية القدرة ثم تجيز لنفسك أنت محدود القدرة أن تعترض على الله وتقول: (لكن إله كلي القدرة فلا عذر له في ذلك) أنت محدود القدرة لا تزال تعترض بغير وجه حق مع تناقض فج يصعب حله ونتركه للقارئ الكريم.

" ثم تريد أن تخبرنا أننا لا نستطيع أن نحكم على أفعال الله بسبب محدوديتنا.. ممتاز جدًا بنفس الحجة يمكنني أن أقول لك أنك لا تستطيع أن تحكم على أي شيء.. فإذا كانت حكمة الله اقتضت قتل الملايين ومعاناة المليارات ولا يحق لنا التساؤل حول ذلك.. فما الذي يضمن لك أن كتبك المقدسة ما هي إلا خدعة كبيرة من الإله لحكمة لا يعلمها إلا هو..؟ يجب أن يكون عندك ميزان واحد للحكم على كل الأمور، فإن اقتنعت أن إلهك صادق ولا يمكن أن يكذب بحرف واحد فلماذا تصدق أنه يبقى رحيمًا حتى لو تسبب أو سمح بمعاناة المليارات؟ وفقًا لحجتك أنت نفسك الحكمة يمكن أن تبرر كذبه كما يمكن أن تبرر تسببه بالشر.. وأي شيء لا تستطيع تبريره في هذا العالم ولا يتوافق مع إلهك تلجأ وتقول لي الحكمة.. أرجو عدم تجاهل هذه النقطة "



✍ سأنطلق من آخر جملة لك تقول: (أرجو أن لا تتجاهل هذه النقطة) طبعًا يا صديقي ليست من عادتي، ولكنك تجاهلت كل ردودي..!

❀ ندخل إلى الرد: من قال أننا لا نستطيع الحكم على أفعال الله بالمطلق..؟! طبعًا القائل هو أنت ليس أنا، نستطيع طبعًا فهم أفعال الله من علمٍ وحكمة ونظام في هذا الكون وفي نفسك وفي جسدك وعقلك، ولكن هل هذا الفهم لابد أن يكون مطلقًا وكليًا ومحيطًا بالله الذي هو المطلق..؟! أظن لا يقولها عاقل..

✓ فهناك كما تعلم محكمات ومتشابهات نصية (قرآن وسنة) وكونية (كزمولوجي وإنسانية) فالمحكم هنا أن من أبرم هذا الكون عليم حكيم جعل في هذا الجسد ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٢ خلية تعمل بنظام دقيق جدًا.. هذا يدل على مُنظّم..

✓ وتحت كل خلية ١٠٠٠٠ آلاف مصنع بل وهذا المصنع يصحح الأخطاء الجينية فهذه محكمات لحكمته، يبقى بعض الأمور لا نفهمها ولكن نفهم مجملها لأننا محدودي الفهم فنجري القاعدة الكلية على الأحكام الجزئية وهذه من أكبر مسارات العقل العلمي..



⇦ فنرد المتشابه إلى المحكم، ونرد عدم فهم بعض الحكمة إلى كل هذه الحكمة التي ندركها في الكون، ويقيني أن هذا تفسير أفضل بكثير من العدم الذي تقدمه وهو متناسق منطقيًا وعلميًا..

⇦ وأما قولك ألّا يحق لنا التساؤل عن قتل الملايين ومليارات المليارات فغريب أيضًا..! بل يحق لك السؤال ولنا إجابتنا.. للحكمة والبلاء والثنائية الكونية المتمثلة بالخير والشر..

✓ أضف إليها: من قال لك أن المليارات تعاني..؟! المحكم في الدنيا الصحة والمرض فيه قليل بالنسبة للصحة، كم نسبة المصابين بالأمراض الجسدية (حيث هذا معيار السعادة عندك) مقابل الأصحاء..؟ لنقل مليار وهناك ٧ مليار أصحاء فكيف تحكم على مليارات البشرية في الشقاء دون إحصاء..؟! إسقاط نفسي جديد..!

⇦ وأضيف أخيرًا أن من أعظم القتل في العالم كان على يد علمانيّي ما بعد الحداثة الأشبه بالملحدين في الحرب العالمية الأولى والثانية ١٠٠ مليون إنسان، وأيضا لا ننسى الزعيم الملحد ماوتسي تونغ الذي قتل ٤٥ مليون..![1]

⇦ أما قولك هنا: (فما الذي يضمن لك أن كتبك المقدسة ما هي إلا خدعة كبيرة من الإله لحكمة لا يعلمها إلا هو..؟)..

✓ فقد صرح الله في حكمته بالشر ولم يخفها..!

✍ وقد صرح بحكمته في إنزال كتبه وما تحويه من الإعجاز للهداية، ولتراجع كتاب الظاهرة القرآنية (مالك بن نبي) لتفك عنك التعتيم الفكري الذي فرضته على نفسك ولتقرأ مقدمة العلامة محمود شاكر فقط لتعلم بعضًا من حكمة الله المعلنة.

---

[1] http://www.independent.co.uk/arts-en...s-2081630.html



⇦ بالإضافة إلى أن الله لن يكون عابثًا.. فهذا يبعد عنه الرجل الكريم فما بالك بمن خلقه..؟ ومنطلق كلامك هذا مبني على نسبية الحقيقة وتتفرع منها أسئلة الهوس الشيطاني الديكارتي الذي قد يفكر عني، وأيضًا سؤال: (ما يضمنك أن الله لا يكذب عليك).. إلخ كل هذا الكلام..!

✓ هل هناك حقيقة أم لا..؟؟ فإذا قلت أن ليس هناك حقيقة أبدًا وكل الأمور كذب والله الذي هو أعلى حقيقة قد يخادعنا، فهل قولك هذا حقيقة..؟؟! إن قلت نعم أبطلت مذهبك وقلت لك ما ضمنك أن هذا القول مخادع، وإن قلت أنه ليس حقيقة فقد كفيتني الرد..!

❀ وعليه يقول بوبر (الذي تنزعج منه..!):

" النتائج النسبية مبطلة لذاتها لأنها تحمل تناقضًا في ذاتها "[١]

✓ فلهذا كان لابد من حقيقة مُتبَعَة وعندنا هذه الحقيقة هي (الله) وطبعًا بما أنك أنهيت مشاركتك لن أقول لك بيّن لي الحقيقة عندك لتقع في كم تناقضات لا حصر لها ولكن الله غالب على أمره والأمر انتهى.

١) كارل بوبر، النفس ودماغها.

⇦ ننتقل لقولك هذا:

" حول أن الله لا بد أن يظهر علمه فلا أرى أنك قدمت أي حل.. فإن كان كلي القدرة فلا شك أنه سيجد طريقة يظهر فيها علمه دون معاناة المليارات "



✍ هل هذه الطريقة الجديدة ستعجب محدود القدرة نيوتن أم سيطلب طريقة عدمية أخرى ليعترض فيها على الكلي والمطلق..؟ ولا أعيد مثال الطبيب الذي انتقدتني لأستخدمه لأن الطبيب محدود القدرة فأرد اعتراضك لك، وأقول: يا محدود القدرة لا يحق لك أن تقترح طرقًا على المطلق العليم الحكيم.

⇦ أما آخر أربع نقاط فهي من التهافت والتناقض العدمي الذي تتبعه من أول المشاركات بمكان، فعليه:

✓ عالم الله الذي تتكلم عليه إن كنت تقصد أنه بمعنى عالمنا فأنت وقعت في مغالطة كالعادة، الله هو خالق العوالم ولا يحكمه عالم..



❁ ووجود هذه العوالم في نقص بذاتها هو منطقي جدًا لأنه أن يخلق الله مثله هو سؤال غير منطقي أصلًا ويعيدنا إلى مربع الأسئلة غير المتصورة: (هل يستطيع الله ألا يستطيع) حيث أن يخلق مثله يعني أن يخلق كلي القدرة..

✓ وكلي القدرة هذا المخلوق ناقص لأن هناك من خلقه أعلى منه، وهذا الناقص ستتعارض إرادته مع إرادة من خلقه..!

✓ فيصبح أننا نريد من الكلي أن يستطيع بألّا يستطيع خلق من يحد استطاعته..!! أضف أن تدهور هذه العوالم في ذاتها تدل على حكمة الثنائيات التي لم تستطيع الانفكاك منها أبدًا؛ فيكون النقص على مفعولات الله لا على فعله.. وفعله كله خير وكمال وحكمة وتبين كم ينقصك يا محدود القدرة من الحكمة في مشاركاتك السابقة فأنصحك بالترّيث والتفكير أكثر في حكمة الله وآياته علّكَ تخرج من عبثك وشخصنتك.

✍ أخيرًا أذكر القارئ الكريم:

✓ طالبت نيوتن في الرد على أطروحات كارل بوبر الثلاث:

1. اللغة والصحيح والخطأ.
2. الطفل والصحيح والخطأ.
3. برهان هالدن المطور.

⇦ وكان رده الإهمال الكلي.

✓ طالبته في الرد على إشكاليات العقل والأخلاق، فكان رده الإهمال وأن تعريفه هو الصواب بطريقة يقينية غريبة دون نقد لمخالفه بالتفصيل بل أحاله لموضوع عام وعند الرد على الموضوع العام يتهم محاوره أنه يضيع وقت القارئ في الفيسبوك والرد الطويل مع أن مخالفه قدم أكثر من ١٣ مرجع مقابل ٣ روابط لمواضيع موثقة في الفيس بوك.

✓ لم يقدم نيوتن ولا مرجع علمي واحد وكانت طريقة رده تعتمد على السرعة وعدم التريث مما جعله يتناقض في تصوراته وتعاريفه وهما أهم ركنين في عالم المنطق (يراجع شرح صفاء الدين العراقي المسمى الواضح بالمنطق) فكان جل كلامه متهافتًا ومتناقضًا وعن عدم تفكر ثم يتهم محاوره بذلك.. فسبحان الله..!







✍ مختصر الأمر:

⇦ خلق الله الشر لحكمة البلاء وحكمة الثنائيات التي تحكم الكون، فعلمنا من الشر معنى الخير.. وكان الشر الذي على المفعولات هو خير في حكمة الله وعلمه كما مثال الألم ينبه الجسم للمرض، والجهد الجسدي لكي يقوي عضلات الجسد، الشدائد التي تصنع من الإنسان قوة نفس وعمق تفكير وهلم جرًّا، والانفكاك من مفهوم الثنائيات مستحيل لأنه يفرض الوحدوية، فلابد من خالق ومخلوق، وخير وشر، وبلاء وعافية وجنة ونار وهي من أم المحكمات.

⇦ الإلحاد لم يقدم أي حل لمعضلة الشر بل مفهوم الشر في الإلحاد مُشكل جدًا، حيث أن الإلحاد يعتبر هذا العالم طبيعيًا متكامل الأركان.. فالشر لهذا العالم الإلحادي يعتبر ثغرة كيف يمكن للإلحاد أن يبررها..؟ لا توجد إجابة..

⇦ المعاني الأخلاقية في الإلحاد لا معنى لها، لأن أساس السعادة في المصلحة والمنافع المادية.. وجلّ الأخلاق معارضة للمصلحة من صدق وتضحية وإيثار وشجاعة وهذا متفق عليه بين البشر على العموم ولا يمكن تفسيرها إلحاديًا، كما قدمت من أطروحات بوبر الثلاث.

✍ أخيرًا شكرًا لكل من تابع هذا الحوار..

❀ جزاكم الله خيرًا.





لمتابعة الموضوع على منتدى التوحيد

لمراسلة/

أ. عمار سليمان





ثالثًا

ما وراء الخير والشرّ

[حوار ثنائي]



أ. إسلام رمضان، واللاديني/ محمود



❶ محمود:

شيءٌ ما يسير بشكل خاطئ يا مغزل الأقدار! ألا ترى؟

شوراعنا تكتظ بالهلع يا مغزل الأقدار! ألا ترى؟

أما زلتَ تصرُّ على أن هناك عدلًا واعدًا وحكمة غائبة؟

الأرض تتقيح يا نجم الحظ الأعمى وأنت ما زلتَ تتلو نصوص الابتلاء وترتّل: "أيكم أحسن عملًا"..؟!!!

إسمنتٌ سماؤك يا مغزل الأقدار..

إسمنتٌ نصوصك..

إسمنتٌ وجودك..

إسمنتٌ وعودك..

خريفٌ زهر نيسانك.. مُذِلٌّ طول نسيانك..

مِتَّ يا مغزل الأقدار حين وُجدنا.. ومتنا حين وجودك.. فلا تنتظر أن نلتقي..

صفعة في وجه كل مرآة.. واحتقار لكل يد تمتد للمصافحة..

كل العزاءات سخرية.. وكل التنظير وقاحة..

ولا شيء حي سوى قلب ذلك المُــلقى على الأسفلت !!

سوى ذاك الذي دفـَّـأه الثرى..

شيءٌ ما مقيتٌ يخصك يا مغزل الأقدار! ألا ترى؟؟!!



❷ أ. إسلام:

✍ أخ محمود إذا تكرمت عندي تعقيب بسيط على مضمون الكلام ومن ثَمَّ على أسلوب الكتابة في حد ذاته..

⇦ بالنسبة للمضمون أجد أن هناك خلطًا كبيرًا بين ممارسات الناس وبين خالقهم الذي خلق لهم الحرية وجعل أمامهم كل الخيارات التقى والفجور الكرم والبخل (القسوة والرحمة) وكما يقولون بضدها تُعرف الأشياء..

⇦ ذنب هذا الرجل يتحمله قساة القلوب الذين يكنزون الأموال من أمرائنا وملوكنا وخاصتنا الذين لا ينظرون سوى للمادة فقط..

✓ يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) تعليقًا على هذا الأمر:

" ومن خسة بعض الناس أن يلعن السماء إذا فسدت الأرض، وبدلًا من أن يقوم بواجبه في تغيير الفوضى وإقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين..! "

✓ فإذا أردتَ أخي أن تلوم أحدًا على ما يحدث لا تَلُم الله سبحانه وتعالى لأنه أعطى لهؤلاء الحرية بل واجب عليك أن توجه لكل منا سهم التقصير وقساوة القلب..

✓ كثير من الأمور التي نحياها في مجتمعنا تنسب زورًا وبهتانًا إلي الدين ورب الدين فلا تحكم على القضية من أفعال الناس فالناس شتى وأفكارهم شتى ولا يمكن أن تقيس المطلق على أفعال الناس المتغيرة المتشكلة من وسائط مختلفة..!

❀ من ناحية الجانب الأدبي فأسلوبك طيب ورائع وهذا شيء مميز بحق.. وربي لا يُحرّم الشعر في حد ذاته ولا الفن الراقي مثل الذي تقدمه وهذه ليست مجاملة فأنا من النوع الذي لا يعرف المجاملات..

⇦ لكن الحرام والمحظور أن نقوم بنسبة الشر والباطل الذي يفعله الناس إلى الله سبحانه وتعالى الذي حملنا مسؤلية المحافظة على هذا الكون :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾

✓ كما يقولون هذه ضريبة الحرية والعقل وحرية الاختيار التي أعطاها لنا الله حتى نتحمل مسئولية الكون وما يحدث فيه ومن ضمنها هذا الرجل الفقير (ومن مثله) البائس الذي يمر عليه الكثيرون منا دون أن نفكر في أي حل له أو دون أن نبالي أصلًا بوجوده..!!

❀ تقبل تحياتي أخي..



❸ محمود:

۞ أشكر ثناءك على الأسلوب..

✍ ولكن وباختصار شديد.. من كان باستطاعته إيقاف مهزلة وموت وجوع ولم يوقفها ووقف يتفرّج مؤجلًا كل حساباته بحجة الامتحان وحرية الإرادة فهو مشارك في صنع الكارثة لا محالة..

✓ بل وقد يكون مستمتعًا بالمفارقة الدراميّة التي يشاهدها..!! هذا بخلاف أن حتى القبح البشري والطمع والظلم اللاتي نحن مسؤولون عنها هي أيضًا غرائز مخلوقة لسبب ما لا يمكن إلا أن يكون سببًا مجنونًا..!

❹ أ. إسلام:

✍ أخ محمود القضية هنا ليست مشاهدة أحداث درامية ولا شيء من ذلك فهذه الشرور والأضداد هي وحدها -دليل على وجود الله وليس العكس كما تقول أخي -وأنا أرى أن في هذا غلبة للعاطفة على العقل والمنطق..



⇦ وأن الواجب علينا في مثل هذه الأمور أن نقدم العقل والمنطق على الجانب العاطفي غير الصائب في أغلب الأوقات ..

⇦ فكما يقول ديستوفسكي: " كل شر مسموح به إذا كان الله غير موجود "

✓ وأما إن كان غير موجود ستصير هذه الأشياء مبهمة غير مفهومة وغير متقبلة.. أما بوجود الله وحده يصير لهذه الشرور والأضداد التي تراها معنى.. والامتحان والاختبار هي وحدها تبعات الحرية..

⇦ لو سألتك وخيّرتك ما بين الحرية مع وجود هذه الشرور (الواجبة بعد إعطائك للحرية) وما بين جبريّة ودنيا ليس فيها غير جانب واحد فقط وهو الخير.. فلن تعرف حينها الخير ولا الشر لأنك ببساطة لن يكون لك أي اختيار ولا حرية في أفعالك ولا في تفكيرك فلن يأتي على بالك هذا السؤال من الأساس..

⇦ ولكن حينها فقط ستختار الحرية مع التكليف.. التكليف باتباع الخير وترك الشرور بالرغم من نقائص العالم التي قد تراها بعد ذلك..

✎ كما يقول أبو حامد الغزالي: " لولا انعواج القوس لما رمى "

⇦ الشرور ليست مخلوقة داخل الإنسان -بل هي نتاج للحرية التي اكتسبها الإنسان وأن يلهمها الله الخير والشر ليس معناه أن الله خلق وزرع فيها الشرور بل يريك الله هذا الطريق (الخير) وتبعاته وترى أيضًا طريق الشر وتبعاته.. وليس كما تقول يا أخي الكريم..





✓ وجود الشرور في العالم مع وجود الظالمين والمتجبرين وآكلي حقوق البشر – هو وحده دليل على وجود حياة أخرى وحساب وعقاب ودليل على أنك كإنسان لست مجبرًا ولست قردًا متطورًا بل لديك المقدرة والحرية التامة الخارقة للنطاق الفيزيقي ولديك أيضًا معرفة للخير وللشر وتميزها بالرغم أنها غير موجودة في الطبيعة، فليس عند الحيوان خير أو شر ..

✍ كل هذا دليل على أنك من عالم آخر ليس هذا العالم الفيزيقي الغبي الذي لا يعرف كل المطلقات التي أشرتُ إليها في كلامي والتي أشرتَ أنت إليها أيضًا في كلامك..

❀ تقبل تحياتي أخي..

❺ محمود:

✍ أعلم أنك ممتلئ فكرًا واطلاعًا وإيمانًا.. ولكن يا سيدي قبل أن تتدفق كل هذا التدفق حاول فقط أن تتأنى وتعطي الكلام حقه من حيث العمق، وتأمّله..

⇦ ألا يبدو جليًا أنني أعتبر فكرة الابتلاء والاختبار فكرة عابثة؟ ما حدث أن كاتب الدراما خلق غرائز القبح والقتل والجشع والسيطرة والحسد وقال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ، ثم بعد ذلك وهب شخصيات المسرحية الحرية في التصرف وأخذ يشاهد المسرحية حتى النهاية علمًا أنه يعرف النهاية سلفًا وقد دوّنَها عنده بدقة.. متجاهلًا كل التضرع والصراخ والتألم والنحيب من أجل فكرة الابتلاء والاختبار..!!

✓ أي قيمة لهذا الاختبار الذي سُحِقنا من أجله..؟؟!! أنا أعلم أن لنا إرادة وأن أفعال البشر هي مسؤولية البشر.. ولكن كل هذا من بادئ الأمر لماذا؟؟!

✍ هذا إن كان الحديث عن المعاناة التي هي من صنيع إرادتنا، فما قولك إذن فيما لا نملك له دفعًا؟



✓ ما رأيك في: تسونامي، والزلازل، والأوبئة، والمجاعات، والتهاب الكبد، والطواعين، والسرطان، وأعاصير البحار، والحيوانات المفترسة، والفيروسات، وغير ذلك...؟ صنيعة من كل هذا؟ وأرجوك، أرجوك كل الرجاء، لا تقتبس لي عبارات بلاستيكية عن أن هذا هو القدر وهناك حكمة.. ولا تقتبس آية تقول أن ذلك مُعد سلفًا.. لأن أحدًا لو أخطرني بأنه سيجيء لسرقتي قبل أن يجيء لما أنقص ذلك من جرمه شيئًا..!!

❀ أرجوك حاول أن تقرأ ما كتبتُ جيدًا ولا تضطرّني أن أكرر نفس الأفكار..



6 أ. إسلام:

✍ أود أن أقول لك بعض النقاط وتقبلها مني نصحية أخوية.. أنا لا أتحاور معك لأظهر لك أو لغيري أني على اطلاع أو على غير اطلاع.. فقط هدفي هو أن أوصل لك ما هو صحيح بأسلوب طيب وراقي بعيدًا عن تكفيرات المشايخ وانغلاق فكرهم (على حد قولك) – ولو لاحظت أني لا أخاطبك من منظور ديني، فقط أخاطبك من منظور فلسفي..

⇦ نقطة أخري: كلامك عن عدم قراءتي لكلامك هو مغالطة منطقية لأني قرأت كلامك جيدًا وحللته وإلا لكنت سرت وراء السائرين في كون هذه القصيدة لا تقصد الإله من قريب أو من بعيد بل أكدت مرارًا أنك تقصد بها الله.

⇦ ولو لم أكن منصفًا لما مدحت لك أسلوبك وكنت نقدت ما كتبته من منظور لغوي وجمالي وبالتأكيد كنت سأخرج منه بكثير من الأخطاء لأن بحر البلاغة واسع ولا معصوم فيه من الذلل حتى المتنبي ذاته لديه أخطاء..

✓ ولكني أريد شيئًا آخر من حديثي معك هو أن أظهر لك ما خفي عنك بسبب بيئتك التي نشأت فيها.. وأن أظهر لك الدين بشكل سلس وطيب كما عرفته وكما علمته..

⇦ عندما تكلمت عن الشر لم أحدثك عن فكرة دينية أو عن ابتلاء بل تحدثت معك عن تبعات الحرية من منظور فلسفي، ولم أتطرق لقصة آدم عليه السلام أو ما إلي ذلك فقط صححت لك مفهومك عن خلق الشرور داخل الإنسان..

✓ وقلت لك أن الله سبحانه وتعالى ألهم الإنسان معرفة الحق ومعرفة الحق لا تعرف إلا بمعرفة الباطل كما تقول لابنك وتنهاه عن القتل مثلًا - ولله المثل الأعلى - فليس معنى ذلك أنك تعلمه القتل..!! أشهدك على كلامك وعلى ردك هل ترى أنك كنت منصفًا ومنطقيًا في ردك السابق ..؟!

⇦ نقطة أخرى: نحن نتحدث في نقطة محددة وهي الشرور التي نراها حولنا ومثل حال الرجل – وهو موضوع القصيدة التي كتبتها وكان الرد عندي على قدر الحيز الذي أنت تعترض عليه، هنا أنت صنعت معي مغالطة رجل القش وتحاول أن تظهر بأن كلامك كان شيئًا وردي كان شيئًا آخر..! وهذا شيء غير موضوعي منك أخي فأنا لم آتِ لاستعراض العضلات أو ما إلي ذلك من تلك السخافات بل جئت لك محبًا للخير - والله أعلم بما في قلبي - فلن تنفعني أمام الله..

✓ ولو كان كلامك عامًا يشمل القضية بأسرها – أو أنك تطرقت للشرور الأخرى التي لا دخل فيها للبشر (الكوارث الطبيعية) لكنتُ أظهرتُ لك الحكمة من ذلك وحاولتُ أن أوصل لك ما يمكن أن يزيل الإشكالية عندك..



✓ لكنك يا أخي تحوّل منهجية الكلام إلي اللا موضوعية والمغالطات وهذا شيء أستغربه من إنسان مرهف الحس مثلك، ويمكن أن يكون أديبًا عظيمًا في المستقبل..

⇦ في النقطة التي قلت فيها:

" [وقال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ] ثم بعد ذلك وهب شخصيات المسرحية الحرية في التصرف وأخذ يشاهد المسرحية حتى النهاية علمًا أنه يعرف النهاية سلفًا وقد دونها عنده بدقة.. متجاهلًا كل التضرّع والصراخ والتألم والنحيب من أجل فكرة الابتلاء والاختبار..! أي قيمة لهذا الاختبار الذي سُحِقنا من أجله..؟؟!! "

✍ ردي: لقد جاوبتك عليها من منظور فلسفي بحت منظور محايد بعيد عن الدين ورب الدين وقلت لك أن الحرية من تبعاتها الخطأ والزلل وأنك لن تستطيع أن تصنع يوتوبيا تكنولوجيّة وفي نفس الوقت تترك للإنسان هامش الحرية .. كلما زادت الآلية وقلت الأخطاء قلت الحرية وهامشها..

✓ وهذا شيء متعارف عليه في عالم الفيزياء، عندما يقارن الفيزيائيون بين فيزياء نيوتن الآلية التي لا هامش فيها لحرية الذرات أو الكواركات، آلية وميكانيكية لا وجود لأخطاء فيها ولا لحرية، وبين نسبية الكوانتوم وخروجها عن قواعد الآلية الصارمة الخالية من أي حرية ..

✓ أعطيك الفيصل النهائي: أنت تريد أن يُخلَق هذا الكون يوتوبيا تكنولوجية، أي كون بلا شرور وبلا أخطاء وقد قلت لك أن الحرية لها تبعاتها وأنك لن تستطيع أن تصنع يوتوبيا (آلية لا أخطاء بها) إلا إن نزعت الحرية من قاطني هذه اليوتوبيا.. أي اليوتوبيا عكس الحرية..

❁ اليوتوبيا: الآلية..

❁ والحرية: الأخطاء والشرور من أصحاب الحرية..

✓ إضافة إلى نقطة أخرى: الله لم يخلق الإنسان للابتلاء والامتحان ولكن هذا أيضًا من تبعات الحرية فمن المستحيل أن تُعطى حريتك كاملة وتفعل الشر وتترك هكذا دون حساب أو عقاب كما هو الحال مع الكثير من الجباري ..

❁ إنما خلقنا الله لنعرفه ولنكون عبادًا ذو حرية وأنه بحريتنا هذه سندرك وجوده وندرك نعمه التي جعلنا نعيش فيها..

⇦ وفكرة أن الله خلقنا هكذا فقط ليمتحننا فكرة دونكيشوتية محضة، فكرة دخيلة عن الدين فما يفعل الله بعذابنا أو بتنعيمنا وما الذي سيعود عليه من ذلك..؟!

✓ إنما المنعم هو الذي يعطي بلا مقابل.. وإنما وجودك وخلقك فقط من أجل معرفته أي أن تتوجه له بكل حريتك التي خلقك بها غير مرغم على شيء لأنك لو أرغمت على شيء ستكون حينها مسلوب الإرادة والحرية..

⇦ وهذه نقطة مهمة جدًا حيث أنك يجب أن تعرف أولًا: لم خلقك الله سبحانه وتعالى، حينها ستعرف أن الأمر ليس مجرد امتحان عابث وسخيف..



✍ وسأخاطبك بخطاب بعيد عن مصطلحات المتدينين:

⇦ لو خلقك الله آليًّا ليس لديك هامش حرية لكنت ستصير مجبرًا على قبول ما هو فرض عليك.. إضافة إلي أنك لن يكون لك مقدرة على الاعتراض أو التساؤل، لن يكون لوجودك أدنى قيمة تذكر ولا لأي فعل ستفعله قيمة تذكر فقط أنت مجرد ترس صغير في آلة ضخمة لها حدود في التفكير لها حدود في الأفعال.. من الآخر [مبرمجة] مثل الإنسان الآلي الذي يبرمجه صاحبه فلا يعطيه حرية.. فقط عليه أن يعمل ما هو مبرمج عليه دون أدنى تفكير أو حرية..!

✓ الحرية التي تتمتع بها الآن هي قيمتك التي خلقت من أجلها فالله خلقك لتكون عبدًا له بإرادتك وهذا هو محض الجمال في الأمر.. أن تعبده باختيارك لا بفرض عليك كما هو الحال مع الملائكة..



❀ ووجودك في الكون هو نعمة وخلقك كله نعمة.. جميع المخلوقات ليس لها حرية ولا معرفة للقبح ولا للجمال، الخير والشر، أنت وحدك من تصنع الجمال وأنت وحدك من تصنع الشرور..

✓ أي لا معرفة للنعيم ولا معرفة حقيقية لله بدون حرية.. ولا قيمة لوجودك من الأساس بدون حرية..

❁ وكما قلت لك قول أبو حامد الغزالي: " لولا انعواج القوس لما رمي "

✓ أي أن الكون بنواقصه هذه هو أفضل ما يمكن وليس بالإمكان أفضل ممّا كان..!! وهذه الفكرة في حد ذاتها فكرة مليئة بالغرور والتكبر على الخالق أي أنك تريد أن تضع نفسك مكان الخالق أو أن تحاسبه بعلمك القاصر على أفعاله أو على خلقه لك بدلًا من الشكر والحمد لما وضعه فيك من عجائب قدرته..

⇦ ودعني أخاطبك بشيء من السعة قليلًا لنصف خلقك من البداية.. ودعني أصف لك الصورة ولكن بقليل من التمثيل وسأقتبس أسلوبك التمثيلي الطيب.. منكم نتعلم..

✍ ما يحدث منك ومن الكثيرين تجاه الله ولله المثل الأعلي:-

✓ هو نفس حال الابن العاق لوالديه.. فوالداه لا يريدان منه جزاء ولا شكورًا وفعلا له من الخيرات ما لا يمكن فعله ولكن في نفس الوقت نكران النعم والأفضال من جانب الابن لا يمكن أن يحدث.. فقط واجبه تجاه كل هذا هو الشكر ومعرفة الأفضال والاعتراف بها ولكن الابن العاق يأبى كل ذلك ويرفض أن يعترف بأفضال الأب وبدلًا من الشكر والحمد يظل يسأل أسئلة لا محل لها من الإعراب مثل: [لماذا أنجبتماني؟؟ لماذا أوجدتماني في هذه الدنيا..؟]..!



✓ وإن كان في (الاعتراض) توجد النعمة وتكمن الحقيقة أي أن الإيجاد من العدم (الجزئي) والرعاية والسهر والتعب وتعب الأم وآلام الحمل وكل الأشياء التي لا يمكن حصرها هي النعمة بحد ذاتها..!!

❁ فيكون الاعتراض بعد تفكيكه هو: لماذا نعّمتموني ولماذا خدمتموني بالسهر؟!!! ولماذا فعلتم كل هذا من أجلي..؟؟!! إن كل ما فعلتموه هراء! لا معنى له مجرد عبثية..؟!؟!! أستغفر الله..

✍ هل تري في مثل هذه الصورة السابقة أي منطق..؟؟ بالطبع ستتفق معي أنه لا يوجد منطق فيها سوى منطق الجحود والنكران لا منطق عقلي ولا عاطفة.. كذلك حالك الآن مع الله تتمرد على كون الله الذي خلقك (من العدم الكلي) مع أن خلقك في حد ذاته أعظم النعم وتسخير كل هذا الكون لك بما فيهم والديك هو أعظم النعم التي لا تضاهى..! ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ صدقت ياربي، ولكن الإنسان ظلوم جهول..!

⇦ ولكنك للأسف يا أخي تحاكم الإله الكامل بمنطقك البشري الناقص، أقولها لك ولا أقصد الإهانة لكن هذا هو محض التكبر والجحود تجاه خالقك.. وهنا لا أخاطبك بمنظور المتدينين ولا أهددك بما يهدد به البعض، بل أخاطبك بالمنطق الذي نتفق أنا وأنت على أنه الوسيلة الوحيدة للعقلاء في هذا الكوكب.. فاعتراضك هنا مثل اعتراض الابن العاق على والديه..

✓ وبصراحة يا أخي في هذه الجزئية ليس لديك أي مبرر للاعتراض وحتى كان ردك عليه فيه مغالطة وهذا شيء أربأ بك عنه..

✍ وبالنسبة لجزئية الكوارث الطبيعية والشرور التي لا سبيل لدفعها يقول ديفيد هيوم:
" إن وجود الله بمعزله عن سعادة الإنسان أو شقائه "..

⇦ هكذا هي الحقيقة أن وجود الله لا يتأثر بقضية الشر من قريب أو من بعيد فالقضية هي قضية عقلية ومنطقية بشكل كبير.. أي أن أسوأ افتراض لوجود كون مليء بالشر لا يمكنه أن يبطل دلائل وجود الله..

✓ لكن على أي حال دعني أفصّل لك لماذا الكوارث الطبيعية موجودة.. كما يقول الأستاذ العقاد في عقائد المفكرين في القرن العشرين:

" لا معني للشجاعة بغير الخطر ولا معني للكرم بغير الحاجة ولا معني للصبر بغير الشدة ولا معني لفضيلة من الفضائل بغير نقيضة تقابلها وترجح عليها "

⇦ ويمكن أن نوسع دائرة هذا القول في لذاتنا المحسوسة كما يشمل فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية إذ أننا نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع.. ولا نستمتع بالري ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءها المنظر القبيح..

✓ وبضدها تعرف الأشياء.. لا يمكن أن يُحكم على الفعل خير أو شر إلا من معرفة نتائجه لا في حد ذاته.. الفعل الإنساني مجرد.. نتائجه هي التي تكشف طبيعة هذا الفعل خير أم شر..



⇦ مثلًا الحروب تجد أنه بدونها لكان الإنسان يعيش في غياهب العصور الوسطي وتجد أن معظم التطورات الضخمة والتقدم التكنولوجي نشأ نتاج للتنافس العسكري (الشرير)..

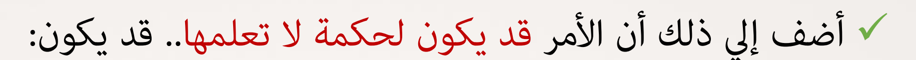
✓ أي أنك لن تدرك حكمة الأشياء إلا بمعرفة نتائجها كلها ومن جوانبها كلها لا في ذاتها.. فالحروب على قدر أنها تقتل الكثير من الناس لكن على أي حال هم سيموتون شئنا أم أبينا سواء في السلم أو في الحرب .. ولا تعرف هل الموت هنا رحمة لهم أم لا لأنك لا تستطيع أن تجزم بعدم وجود حياة أخري على أي حال..

✓ التقدمات التكنولوجية المدفوعة بنيران الحرب ومنافستها لا يمكن تحقيقها في عصور الركود والسلم.. وتشهد على ذلك محركات الطائرات والكثير الكثير من حولنا ..

✍ لذلك وهذا هو السؤال الفيصل بيني وبينك: هل تدرك كامل الحكمة من النقائص والشرور..؟

⇦ بالتأكيد لا.. فما الذي أدراك أن نتائج هذا الفعل لن تكون خيرًا في النهاية وأن مجرد رؤيتك لقبح الفعل في حد ذاته ليست دليلًا على الشر.. مثلًا البركان قد يموت بسببه الكثيرون لكن أيضًا بسببه وُجدت المعادن وبسببه تُصنع أفضل الترابات الخصبة وبسببه أيضًا توجد أجمل الجزر.. فالحكم على ظاهر الشيء بأنه شر دون النظر إلي نتائجه أمر غير منطقي..





✓ أضف إلي ذلك أن الأمر قد يكون لحكمة لا تعلمها.. قد يكون:

1. عقابًا من الله لبعض الطغاة..
2. رحمةً للفقراء للتعجيل لهم بحياة أكثر سعة..
3. تذكيرًا للغافلين والجبارين..
4. محنةً للتكاتف..
5. اختبارًا لمعدن الإنسان..

✎ ولكي أوضح لك سوء النظرة الأحادية للظواهر.. اقرأ معي هذا الاقتباس:

" لا تحيط النظرة الواحدة إلى حالة واحدة بالعدالة الإلهية ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل في تصريف الإرادة الإلهية.. إن البقعة السوداء قد تكون في الصورة كلها لونًا من ألوانها التي لا غنى عنها أو التي تضيف إلى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها، ونحن في حياتنا القريبة قد نبكي لحادث يعجبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته "



✓ وحدها هذه النظرة التي تستطيع بها تفسير الأفعال التي ظاهرها الشرور التي يتعرض لها البشر بغير تدخل منهم ولا إرادة..

⇦ سامحني، حتى لا الإلحاد ولا اللا أدرية يستطيعون تفسير وجود الشرور في الكون..

❀ بالإيمان وحده تستطيع أن تلتمس الحكمة وأن تعرف لماذا الشرور..

✓ والقضية تحتاج إلي الكثير من الحكمة قبل الاعتراض عليها..
تحتاج إلى نظرة شاملة للظاهرة ونتائجها.. لا مجرد الحكم السطحي عليها..

❀ شكرًا لسعة صدرك وعذرًا على الإطالة لكن وددت فقط أن أنقل لك كل ما أعرفه وأن تكون الإجابة طيبة يصلح بها حالنا وحالك إن شاء الله .. ❀ تقبل تحياتي..

7 محمود:

✍ وجود الشر لا ينفي وجود الله وليس إنكار الله هو ما سعيت إليه.. ولكن عفوًا.. إن كان الله موجودًا، فكل هذا الشر، إما أن يكون مدانًا، أو أن يكون ضعيفًا وغير قادر على كل شيء كما يُشاع، ونسبيًّا مثلنا.. لا يصح أبدًا أن يكون عدله مطلقًا وقدرته مطلقة وتكون هذه النتيجة..!!

❀ أنا لا أنكر ولا أثبت.. ❀ أنا عدمي لا فرق عندي بين الحالتين.. خلاصة قولي..





أخ محمود، يبدو لي أنك لم تدقق في كلامي بعض الشيء.. لقد رددت على استفساراتك كلها في الثلاث مداخلات السابقة..

ولك الخيار في أن تقرأها بقلب متأمل وعقل متفتح ولك أيضًا الخيار أن تتجاهلها وتظل تكرر في أسئلتك بدون أي منطق وتظل في مثل لا أدريّتك وعدميتك..

وخلاصة كلامي أيضًا:

قرآن ربي يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

وفي موضع آخر يقول: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

وستظل في دعائي لعل ربي يهديك ويخرجك ممّا أنت فيه.. هذا حق الأخ على أخيه.. فيوم من الأيام كنت مثلك هكذا ولولا فضل ربي لما آمنت...

الله يهديك..





لمتابعة الموضوع على منتدى التوحيد



لمراسلة/

أ. إسلام رمضان



رابعًا

جواب في شبهة عذاب البهائم ونزول الشرور بهم

الكاتب/ أ. أبو الفداء ابن مسعود



❀ الحمد لله وحده.

✍ أما بعد، فقد طرح أحد الأفاضل سؤالًا في المجلس العلمي حول مشكلة نزول الشر والألم والمكاره بالبهائم والدواب، فحررت له - بفضل الله ومنته - جوابًا رأيت أن أنشره ههنا لحاجة الإخوة إليه، والله الموفق لخصال الخير[١].

❀ يقول صاحب الموضوع:

✍ يثير بعض الملاحدة بعض الشبهات ومنها مسألة وقوع المصائب على الحيونات وهي غير مكلفة وعدم تعويضها في الآخرة..

✓ ولا يخفى على المسلم بأن الله لا يظلم خلقه شيئًا والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ومن ذلك عقاب من لم يستحق العقاب كتعذيب المطيع لله وإدخاله النار..

✓ ولا يدخل في ذلك ابتلاء الصالحين في الحياة الدنيا فهذا في الحقيقة هو من إحسان الله لهم باعتبار العاقبة الحسنة من وراء امتحانهم مع ما يدخره الله لهم من الأجور يوم القيامة..

⇦ وقد قرر أهل العلم في مسألة مشابهة للمسألة المطروحة في هذا الموضوع بأن ما يصيب الأطفال من بلاء وضراء في الدنيا هو من باب امتحان آبائهم ومن باب التفضل على هؤلاء الأطفال في الآخرة بتعويضهم في الآخرة..



(١) http://majles.alukah.net/showthread....276#post567276



✓ ولا يخفى كذلك أن ما يصيب الحيوانات من مصائب كأمراض وهلاك ونحو ذلك هو من باب امتحان أصحاب هذه البهائم، ولكن يبقى السؤال المشكل وهو: ما تأويل وقوع هذه المصائب على هذه البهائم وخاصة أنها في الآخرة لن تعوض بشيء بل ستكون ترابًا ولن تدخل الجنة؟

✓ وهنا يبقى سؤال آخر مرتبط بهذا الموضوع وهو: ما حقيقة وحد الظلم الذي نفاه الله عن نفسه؟

⇦ وللفائدة سُئل الشيخ صالح الفوزان عن نفس المسألة المطروحة ولكنه لم يجب عن سبب ابتلاء هذه الحيوانات وهي غير مكلفة وهل يتم تعويضها في الآخرة أم لا.

⇦ وإليكم السؤال:

" نعلم حكمة ما يصيب الإنسان المسلم من مصائب، فقد تكون امتحانًا وابتلاء، وقد تكون عقوبة لما حصل منه من أخطاء، هنا يأتي سؤال: ما الحكمة من المصائب التي تقع على الإنسان الكافر؟ وما الحكمة من وقوع المصائب والأوجاع على الأطفال الصغار؟ حيث تقع على بعض الأطفال دون البعض الآخر؟ وماذا يقال عن المصائب (من مرض أو كسر أو جرح) التي تقع على بعض الحيوانات والطيور؟ "



⇦ الجواب:

" حكمة الله تعالى في خلقه لا يمكن الإحاطة بها، فمنها ما ندركه، ومنها ما لا ندركه، لكننا نقطع ونؤمن أن الله سبحانه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة بالغة؛ لأنه سبحانه منزه عن العبث، وما يصيب الكافر من المصائب فإنه عقوبة على كفره ومعاصيه، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧]، وأما ما يصيب الصغار، فإنه قد يكون عقوبة لآبائهم أو ابتلاء لآبائهم، ليظهر صبرهم واحتسابهم إلى غير ذلك، وكذا ما يصيب البهائم فإنه عقوبة لملاكها أوابتلاء لهم، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إذا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا أنا لِلَّهِ وَأنا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].. "



✎ مصدر الفتوى: المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان - (ج ٢/ ص ١٠٤) [رقم الفتوى في مصدرها: ٨٦]..

⇦ إخواني أعضاء الألوكة اعلموا أن من أفضل الأعمال الصالحة كشف الشبهات عن دين الله فكم من شبهة قد ضل بها أقوام، فكل واحد منكم لديه جواب على هذا الإشكال فلا يبخل علينا..



✍ فأجبته بما يلي:

✍ الحمد لله وحده..

⇦ أما بعد، فشكر الله لك أخي الفاضل طرحك هذه المسألة في هذا المجلس المبارك، وهي في الحقيقة مما يشكل على كثير من الأفاضل..

✓ وهي تدخل في إطار ما أصبح يعرف عند الفلاسفة في زماننا هذا ليس فقط [بمشكلة الشر] كما كان اسمها قديمًا، وإنما صارت يقال لها [الحجة من مشكلة الشر]، بمعنى وصول الشبهة إلى أن تكون عند أصحابها دليلًا على أن الخالق ليس بموجود أصلًا، والله المستعان !

⇦ دعني أبيّن لك بحول الله وقوته أن ما أجاب به الشيخ الفوزان حفظه الله في هذه المسألة هو عين الحكمة وكبد الحق، وفيه الكفاية لمن كان الحق بغيته [وليس هذا وصفًا ينطبق على أحد من الملاحدة أصلًا فيما يعتقدونه من أمر الغيب، وإلا ما أنكروا الواضحات]..!

✓ واسمح لي أن أتكلم فيما يلي بخطاب عام لكل عاقل، عسى أن يكون لك - بإذن الله تعالى - في هذا الجواب ذخيرة تقيم بها الحجة على كل ملحد معاند، والله الهادي..

✍ تقول وفقك الله:

" ولكن يبقى السؤال المشكل وهو: ما تأويل وقوع هذه المصائب على هذه البهائم وخاصة أنها في الآخرة لن تُعوَّض بشيء بل ستكون ترابًا ولن تدخل الجنة؟ وهنا يبقى سؤال آخر مرتبط بهذا الموضوع وهو: ما حقيقة وحد الظلم الذي نفاه الله عن نفسه؟ "



⇦ وأقول وبالله المستعان، إن لجواب نظائر هذا الإشكال مسلكان :

❶ أما المسلك الأول فيتوجه إلى أصل السؤال نفسه، فينظر فيما إذا كان الجهل بهذا التأويل – وغيره مما كان من جنسه - والتفويض فيه، مما يضر أو مما يتعين قبوله (كموقف معرفي)..

✓ أي أنه يبحث في إجابة السؤال: [هل لنا أن نطرح سؤالًا كهذا أصلًا؟ وهل يمكننا الوقوف على قواعد كلية محكمة (من العقل والنقل معًا) يستتبع إثباتها الحكم بجواب كلي عام مع التفويض في معرفة التأويل في كل مسألة مسكوت عنها في نصوص الوحي من تلك المسائل (كمسألتنا هذه) وترك السؤال عن ذلك التأويل؟]..

✓ وهذا المسلك في الحقيقة هو مسلك عامة علماء المسلمين (لا سيما أهل السنة)، فما وسعهم تصور تأويله وحكمته من تلك المسائل اجتهدوا في بيانه تنفّلًا لا اضطرارًا، وإلا فالأصل عندهم هو هذا المسلك كما سنبينه..

❷ وأما المسلك الثاني، فهو السعي في تحرير الجواب عن السؤال: [ما الحكمة؟] و[كيف لا يكون هذا من الظلم؟] ونحوه..

✓ وهو الأشهر عند فلاسفة اللاهوت النصراني بصفة خاصة، وتراه عند المعاصرين منهم على درجتين من الاستغراق في ذلك:

⌘ فمنهم من يكتفي بتحرير الحجة المنطقية التي تندفع بها الشبهة ردًا على ادعاء الملحد منطقية اعتراضه على وجود الخالق جل وعلا أو على وصفه بالكمال، سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا..

⌘ ومنهم من يزيد ويجتهد في تصور الحكمة أو [التفسير] الصحيح لوجود الشر في العالم، وهذا يعرف باسم Theodicy، أو الاجتهاد في استنباط ما يدفع شبهة الظلم عن الخالق من تأويلات لسبب خلق الشر في العالم بصنوفه المختلفة، كما صنع لايبنيز النصراني ومن قبله القديس أوغسطين وغيرهما، ونظيره ما حرره بعض علمائنا رحمهم الله تعالى من تأويلات في هذا الباب.

✓ ولعل الأمر الذي جعلك تستشعر أن جواب الشيخ الفوزان لم يكن كافيًا لك، أنك – أو صاحب السؤال - وجهت سؤالك طلبًا للتأويل والحكمة المعينة (على المسلك الثاني) لتلك المسألة من مسائل الشر، بينما كان جواب الشيخ منصبًا في الإطار الكلي الأشمل الذي يندرج في المسلك الأول.

⇦ فكان أول ما أود تقريره كمدخل لدفع هذا الإشكال وما في بابه بعون الله تعالى، أن المسلك الأول من أثبته وأحسن إثباته (بما يناسب صياغة صاحب الشبهة لشبهته المردود عليها في ذلك)، فقد أتى البنيان من القواعد، وقضى على تلك الشبهة بشتى فروعها وشعبها وألوانها، فاستغنى عن الدخول في تفصيلات المسلك الثاني جملة واحدة.



✓ وبيان ذلك أن نقول إن العقل الصحيح يقضي بأن نحمل المتشابهات على المحكمات، وأن نستنبط أحكام الجزئيات المجهولة من الكليات المتقررة المعلومة، وأن نقيس ما جهلنا على ما علمنا، وأن نقطع الشبهات الفرعية بالرجوع إلى الكليات اليقينية، وهذا في جميع أبواب العلم..

✓ فعندما نرى صورة من صور الألم الشديد أو العذاب يتعرض لها مخلوق من المخلوقات، ولم يتحقق لنا في مفردات الأمر ما به نعلم الحكمة الدقيقة من نزول ذلك الشر بذاك المخلوق، فليس لنا أن ننتقل عن الأصل الراسخ المتقرر عندنا بضرورة العقل وبقواطع الشرع، إلى ما ينافيه وينقضه..!

⌘ بل مهما كثرت صور الشرور التي نجهل تأويلها بعينها، لم يجز لنا أن نتخذ من ذلك ذريعة لنقض الأصل الكلي القطعي في المسألة..! فإن تلك الشبهات كلها مدارها الجهالة، أي أن كل واحدة منها غايتها أن يقال فيها: [لا ندري ولا نتصور لماذا أنزل الله هذا الشر بعينه بهذا المخلوق بعينه]، وليس في شيء منها شبهة دليل على وقوع الظلم أصلًا!

⇦ فإذا كانت الجهالة في المسألة الواحدة لا يوصل منها إلى حكم فيها كما هو مقتضى العقل الصريح، فلا عبرة بتكاثر الجهالات وتراكمها في نظائر تلك المسألة، ولا يصار من كثرة تلك الأسئلة إلى توهم الوقوف على مرجح ظني في الأمر لأنها ليست أدلة في نفسها وإنما جهالات..!

✓ وهذا أجمع ما به يُرد على شبهات بعض الفلاسفة المعاصرين ممن تعلقوا بفكرة أن كثرة صور الشر وشناعتها في العالم مع افتقارنا لجواب عن كل واحدة منها أو تأويل لها، تمثل مرجحًا ظنيًا أواحتماليًا معتبرًا لعدم وجود الخالق أو لكونه ظالمًا، سبحانه وتعالى..!

✓ فإذا كان الأصل الراسخ المتقرر لدينا بيقين أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، لم يكن لنا – من الأصل - أن نطرح سؤالًا كهذا: [هل هذا الشر بعينه من الظلم أم ليس منه..؟!] فإن الجواب الكلي العام معلوم لنا متقرر عندنا ابتداءً..! وبهذا المسلك تنقطع شبهة الملحد ويتحقق المقصود..!

❀ وعلى هذا التأصيل نفسه، أنتهي إلى إجابتك بعين ما أجاب به الشيخ الفوزان فيما نقلتَ عنه، من قوله: " حكمة الله تعالى في خلقه لا يمكن الإحاطة بها، فمنها ما ندركه، ومنها ما لا ندركه، لكننا نقطع ونؤمن بأن الله سبحانه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة بالغة؛ لأنه سبحانه منزه عن العبث " اهـ.

✍ فأقول لك: لا يلزمك معرفة التأويل في ذلك ولستَ محتاجًا إلى معرفته في الحقيقة.. سبحانه لا يُسأَل عما يَفعل وهم يُسأَلون.. ولعله قد دخل عليك الإشكال من جهة افتراضك أن العذاب للمخلوق لا يكون إلا من قبيل إنزال العقوبة بذلك المخلوق أو من قبيل ابتلائه بالمكاره، وهذا تحكم في إرادات الله تعالى وحِكَمِه وغاياته لا وجه له ولا مستند..!

✓ فإذا كان الظلم هو وضع الشيء (وهو العذاب والألم في حالتنا هذه) في غير موضعه، وقد رأينا أننا لا ندري ما موضع ذلك العذاب وما حكمته بالنسبة لتلك الدواب والبهائم، لم نملك أن نحكم على شيء من ذلك بأنه ظلم.. ولكننا نعلم بالقطع أن الله لا يظلم قيد أنملة أصلًا، وما من شيء يفعله إلا لحكمة تامة سبحانه وتعالى، فإذا ما رجعنا إلى ذلك الأصل المحكم، تحقق المطلوب وزال هذا الإشكال وجميع ما كان من جنسه في تلك البابة، وارتضينا بالتفويض في تلك [التأويلات]، ولم نشترط ولم نطلب الوقوف عليها حتى ننسف شبهات الجحدة والمشككين، والحمد لله رب العالمين.



⇦ ومع هذا يمكننا أن نضيف إلى ما تقدم – تنفلًا واستطرادًا - أن الوحوش والبهائم وإن كان لا خلود لها في جنة أو نار، إلا أنها يظلم بعضها بعضًا ويبغي بعضها على بعض، وهذا له عقوبته الأُخروية كما ثبت في النص، فلم يمتنع في العقل أن يكون له عقوبته الدنيوية كذلك..!

✓ ولا يمتنع في العقل كذلك أن يكون نزول الشر على مخلوق من المخلوقات = ابتلاء لغيره من المخلوقات لا لذلك المخلوق نفسه، مع كونه لا يُظلم بذلك (وهو ما نص عليه أهل العلم في مسألة نزول الشرور بالصغير غير المكلف)..!

❀ فإن عامة المتكلمين في تلك المسائل من الفلاسفة وأضرابهم يغفلون عن حقيقة أن الله تعالى لم يخلق من خلقه شيئًا، بما في ذلك الدواب والبهائم، إلا وقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ما عرفنا منها وما لم نعرف، فهذا الخير إذا قُدِّر أن أزال الرب عن بعضهم بعضه لحكمة يعلمها ولغاية يريدها سبحانه، لم يكن ذلك ظلمًا لهم، سواء علموا تلك الحكمة أم لم يعلموها، فإن انتقاص الفضل لا يؤول إلى الظلم، لأنه فضل بالأساس..

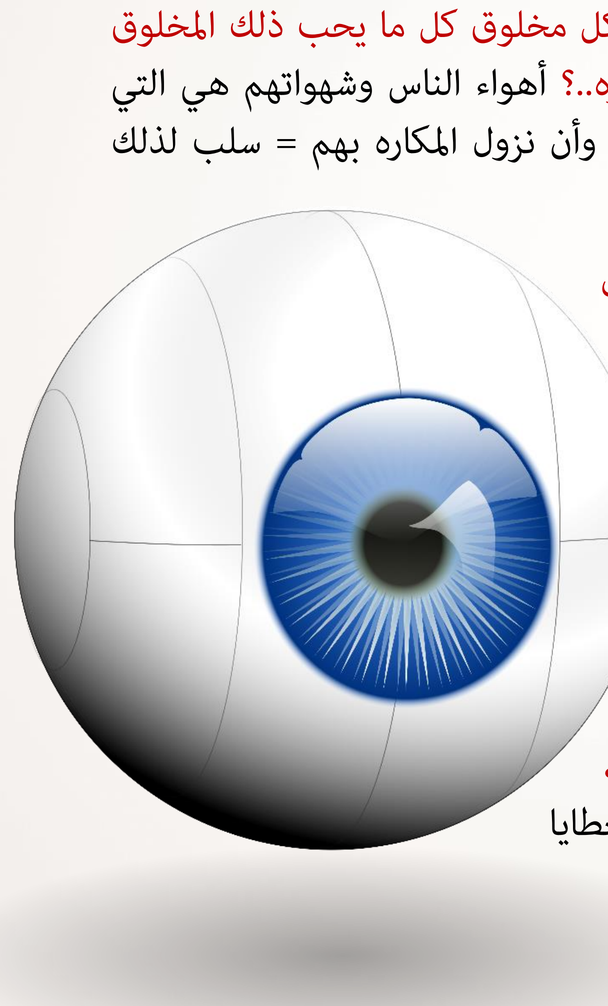
❀ لا شيء يوجب على رب العزة سبحانه وتعالى أن ينعم به على هذا المخلوق أو ذاك..

✓ أرأيت لو أنه سبحانه اختار أن يجعلنا جميعًا حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا كذا وكذا، نحن ودوابنا وطيورنا وجميع ما في الأرض وما في السماء، أفيكون ظالمًا لنا بذلك؟ كلا ولا شك، فالخلق خلقه والأمر أمره، لا شريك له ولا حاكم عليه من فوقه..![1]

[1] هذا المعنى مطرد في سائر ما يقع من السلب أو [الحرمان] من بعض العطايا والنعم لبعض المخلوقات، كاطراد المسلك الأول في جوابنا.. ومن ذلك كما لا يخفى، ما يكون في الجنين الذي يولد مشوهًا أومعيبًا، سواء عاش حتى بلغ ووقع عليه قلم التكليف فكان من المبتلَيْن بذلك كما ابتُليَ به أبواه والمقربون إليه، أو قبضه الله قبل ذلك.. الأصل واحد والقاعدة واحدة لمن عقل، والله الهادي.

✍ لذا نقول: أثبتوا لنا معاشر المتشككين أنه لا يجوز للخالق الحكيم أن يسلب شيئًا يحبه المخلوق (لم يكتسبه بنفسه وإنما وُهب له تفضلاً) ويُنزل عليه شيئًا يكرهه في مكانه، مع كون ذلك التصرف الإلهي في مقام لا يقتضي العدل والحكمة أن يبقى مع المخلوق ذلك الشيء الذي سُلب منه، فلا يكون ذلك السلب إخلافًا لوعد مبرم مثلًا، أوإنزالًا لعقوبة بغير جريرة، قد تقرر في ميثاق التكليف أنها لا تنزل بمثل هذا المخلوق، أو نحو ذلك مما يأتي وصفنا إياه بالظلم من علمنا بأنه لو قُدِّر وقوعه، كان نزولًا للشيء في غير موضعه!

⇦ من ذا الذي أوجب على الخالق أن يعطي لكل مخلوق كل ما يحب ذلك المخلوق ويشتهي في هذه الدنيا وأن يدفع عنه كل ما يكره..؟ أهواء الناس وشهواتهم هي التي أوهمت كثيرًا منهم أن النعمة حق مكتسب لهم، وأن نزول المكاره بهم = سلب لذلك الحق..! فليأتنا هؤلاء ببرهانهم إن كانوا صادقين..!



⇦ أَوَ مَا علمتم أننا لا ندخل الجنة بعملنا، وأن الله لو حاسبنا بعدله لأهلكنا جميعًا؟ إن نعمة البصر وحدها لو سجد الإنسان عمره كله ما وفاها حقها، ومعرفة مقادير النعم هذه ليست مسألة يوكل فيها الحكم إلى المخلوق أصلًا وإنما إلى خالقه المنعم المتفضل بما أعطى، صاحب النعم والعطايا سبحانه وتعالى..!

✓ وإنما يستشعر الإنسان قيمة النعمة وعظمتها ويُقدّرها حق التقدير عندما تسلب منه، ولهذا أفاض الرحمن في كتابه من التذكير بالنعم والعطايا والآلاء التي كذب بها الجحدة والمستكبرون، لعلهم يعقلون..!

وعلى أي حال، ومع كوني قد حررتُ هذا الذي حررته، فإن هذه الإضافة وهذا الاستطراد يعد من جوابات المسلك الثاني من جنس "الثيوديسي"، التي لا أرى حاجة للبسط فيها أصلًا، فإن من عَقِل الجواب الأول وصَدَق وتَجرَّدَ في ذلك، فإنه يكفيه، كما اكتفى بمثله – بل بأوجز منه بكثير - سلفنا الأول رضوان الله عليهم.. فإنهم قد اجتمع لديهم من اليقين والتسليم بصفات خالقهم جل وعلا وبمعاني الكمال فيها ما لم يحوجهم إلى الإطالة والإكثار في تحرير أمثال تلك التأويلات..

ومع أن هذا المسلك الكلي (المسلك الأول في الجواب) هو الأحكم والأسلم وهو الأليق بطريقة السلف والصحابة رضي الله عنهم، والأبعد عن مواضع الزلل والغلط وعن القول على الله تعالى بغير علم، ومع أنه يكفي كل عاقل صادق منصف، إلا أنك لا ترى ملحدًا يذهب إلى عالم من علماء المسلمين يسأله في مثل هذه المسألة، فيسمع منه قولًا كقول الشيخ الفوزان ههنا، إلا ينقم ويسخر من أهل العلم وينسبهم إلى ضعف العقل وسطحية النظر ونحو ذلك، لأنه لا يراهم يخوضون خوض الفلاسفة والمتكلمين فيما خاضوا هم فيه بغير حق ولا سلطان ولا أثارة من علم، والله المستعان..!

فنقول لهؤلاء إن السكوت عما يجب السكوت فيه هو رأس الحكمة وجماع العلم والعقل معًا، وسكوت سلفنا عما سكتوا عنه من المسائل لم يكن من جهل أو عجز عن الخوض في طرائق الفلاسفة إن كنتم تحسبون ذلك، وإنما عن علم سكتوا، رضي الله عنهم وأرضاهم..

✓ والمشكلة ليست في الملاحدة في الحقيقة، فهم أهل جحود وكبر على أي حال، وإنما المشكلة في بعض الأفاضل ممن يتوهم أنه كلما جاءه ملحد بسؤال: ما تأويل هذه، وما تأويل تلك، فإنه يتعين عليه أن يجد له الجواب المفصل على نحو ما يريد هذا الملحد، وإلا كان الإشكال، وبدا الملحد - ولو في عين نفسه وأقرانه - إذ رأى تلك الحيرة عند بعض إخواننا، بدا وكأنه مستساغ الموقف، لأنه قد أتانا معاشر المسلمين بسؤال معجز لا نعلم له جوابًا، ولا يزيد عالمنا فيه على أن يتلو قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾..!

✍ فهؤلاء إنما يقال لهم:
يا هؤلاء، إن الجهل بالحِكَم والغايات التفصيلية من كثير - بل من أكثر - أفعال الله تعالى في هذا العالم لا يعد قبوله والتسليم به منقصة في دين الإسلام، ويقينًا فإنه لا يصح ما تريدون أنتم ومن قلدتم من الفلاسفة المعاصرين من الاستدلال بذلك الجهل على عدم وجود الخالق أصلًا أو على كونه ظالمًا أو نحو ذلك..!

✓ ليس الإيمان بالخالق وبنسبة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إليه، مشروطًا عند العقلاء بمعرفة جواب كل شاردة وواردة ترميها الشياطين في خواطر الناس بشأن أفعال الله جل وعلا..![1]

---

[1]) للفائدة والزيادة ينظر هذا المقال: http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=29207



⌘ هذا جهل لا يضر، لأن العلم بتلك التفاصيل ليس واجبًا في العقل ولا شرطًا لازمًا للتسليم بالقواطع العقلية التي تجحدونها جملة واحدة، بل ليس هو لازمًا للتسليم بشيء مما أخبرنا به الرب من صفاته سبحانه وتعالى..! هذا أمر تعلمونه تمام العلم، ولو جئناكم بعشرات التأويلات والتفسيرات والتعليلات والأجوبة فلن تكتفوا، لأن الغاية عندكم ليست تحصيل المعرفة بالأساس، وإنما البقاء على الإلحاد والتذرع له بكل ذريعة، ولهذا لزمكم تعليق الإيمان بالحق على شرط معرفي باطل لا يشترطه عاقل..!

✓ فالحاصل أيها الفاضل الكريم، أن هؤلاء قوم يحتاجون إلى الوعظ والزجر والقرع على الرؤوس، لا إلى التسليم لهم بما يوحي بأن لكثير من أسئلتهم تلك وجهًا، وأنها تشكل بالنسبة لنا إشكالًا من الإشكالات الكبرى ونحو ذلك..!

۞ هذا والله أعلم وأحكم، وهو المستعان لا رب سواه..



لمتابعة الموضوع على
منتدى التوحيد



لمراسلة/

أ. أبي الفداء

[خاص بأعضاء منتدى التوحيد]





خامسًا

نظرات في سفر الحكمة

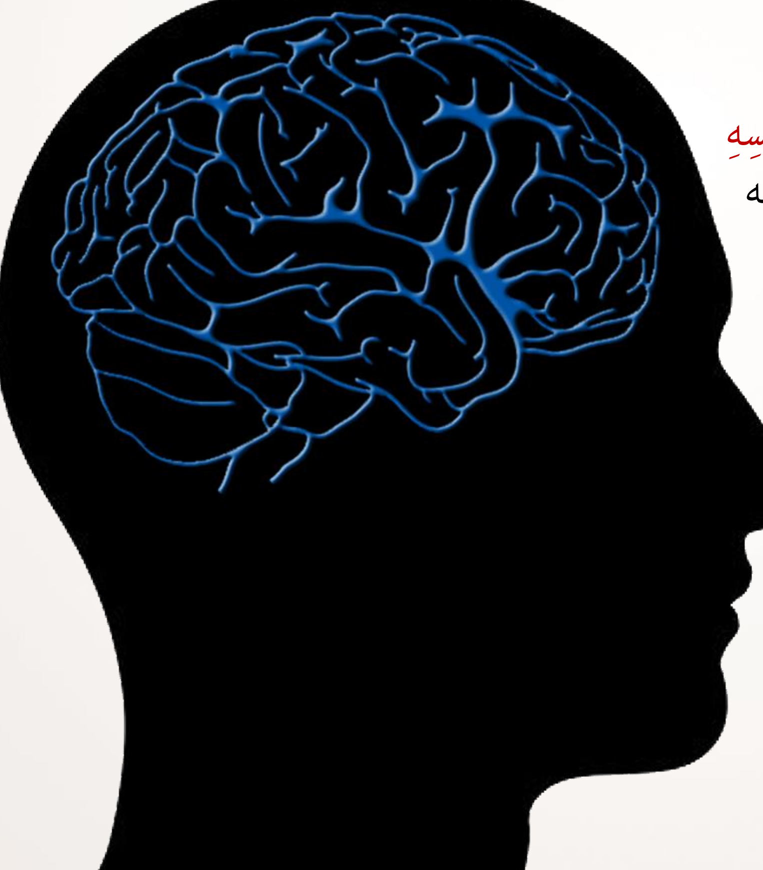
[مقتطفات مختارة من الموضوع الأصلي]

الكاتب/ د. حسن المرسي

الحمد لله الذي أجرى الأمور على ميزان العدل والرحمة.. وقدّر الأقدار تجري فلا رادّ لحُكمه.. وأرى الإنسان في كل شيء آية.. حتى استنارت سبيل المؤمنين.. واستبانت سبيل المجرمين.. وقامت الحجة على العصاة والمذنبين.. فلم يبق لذي عقلٍ شكٌّ أو اعتراض.. وجعل أدلة وجوده كالماء والهواء.. يتنفسها كل عاقل.. ويرتشفها كل ظامئ.. حتى قامت الحجة.. واتضحت المحجة..

وانقسم الناس إلى فريقين... فريق في الجنة.. وفريق في السعير.. يقال لهؤلاء: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.. ويقال لأولئك: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾..

✓ وقطع الاعتذار.. ببعثة الرسل الأخيار.. ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.. وجعل العبرة بالبلاغ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغ﴾..



ثم قال: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.. ثم إنه أعطاه قلبًا واعيًا.. وعقلًا متدبرًا.. وعينًا باحثة.. ولسانًا سؤولًا..

✓ وأعطاه من العمر ما يتذكر فيه من تذكر.. وقلب حياته على العافية والابتلاء.. والأحزان والأفراح.. والسعة والضيق حتى يتسنى له النظر.. ويتقلب في خاطره الفِكر.. ويلجأ إلى خالقه وفاطره.. ورازقه وموجده..



⌘ ثم إن الشيطان تجارى بأناس.. فأخرجهم من الحق إلى الضلال.. ومن التسليم إلى الاعتراض.. منتهجًا طريق الحكمةِ.. ليوردهم الباب الذي أهلكه حين طعن بعقله القاصر.. وناظرًا في باب الرحمة مقارنًا بينها وبين صفات البشر..

⇦ حتى حارت عقول وانتكست قلوب وبارزت خالقها بالاعتراض.. وجاهرت بترك الانقياد.. ما دروْا أن حالهم حال من وصفهم الكبير المتعال: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.. وما يبلغون في اعتراضهم إلا كمبلغ من وصفه الله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾..

❀ وبعد..

✍ فهذا مختصر حول أسئلة تثار حول غوامض الحكمة.. وخفايا الرحمة..
.. وإنما هي كلمات أنقلها أحاول فيها تلمّس طريق الهدى.. وأن أستضيء بنور الوحى.. وأن أستبين سبيل المؤمنين..

✓ فإن كان ثَمّة خطأ فمني ومن الشيطان.. والله ورسوله منه براء.. وإن كان ثَمّة صواب.. فلا حول ولا قوة إلا بالله..





وجه الشبهة:

- ✓ لماذا يخلقه وهو الغني عنه..؟
- ✓ لماذا يبتليه وهو قادر على إثابته دون إبتلاء..؟
- ✓ ولماذا يعذبه ويخلده في النار..؟
- ✓ ولماذا لا يدخله الجنة بلا تكليف.. وما فائدة التكليف..؟
- ✓ لماذا نرى طفلًا معذبًا.. وحيوانًا مذبوحًا.. وعالمًا مفتقرًا.. وجاهلًا منعّمًا..؟ ولماذا نرى الحرّ ممتحنًا بأولاد الزنا..؟
- ✓ لماذا نرى الشر في العالم، ولماذا يخلق الشر وهو قادر على عدم ذلك..؟ ولماذا وضع التكليف على عكس مرادات النفس..؟
- ✓ لو كان موجودًا لما رضي بحدوث ذلك في ملكه..
- ✓ ولماذا يقضي على عباده بالموت..؟ وكيف قضى على رسله بالشقاء في الدنيا..؟
- ✓ لماذا يعذب بدون ذنب.. ويؤلم من لم تسبق له المعصية..؟
- ✓ لماذا يمنع بعض الناس الهداية.. ويقضي عليهم بالغواية..؟
- ✓ لماذا لم يخلق الجميع طائعين بدلًا عن التكليف..؟
- ✓ لماذا لم يطلعنا على خفايا الحكمة حتى يتضح لنا الأمر.؟
- ✓ ما فائدة الإعدام بعد الإيجاد.. والابتلاء ممن هو غني عن أذانا..؟

⇦ وغيرها من الأسئلة التي تدور حول التطلع إلى معرفة ما غمض من أمر الحكمة.. وما خفي من موطن الرحمة في أفعال الله سبحانه وتعالى..



انفكاك الجهة بين وجود الخالق... ومسائل الحكمة والخير والشر...

وهذه من المغالطات المنطقية التي يقع فيها المخالفون من الملحدين دائمًا.. وتحتل محورًا هامًا في حديث أكثرهم.. خاصة العرب منهم..

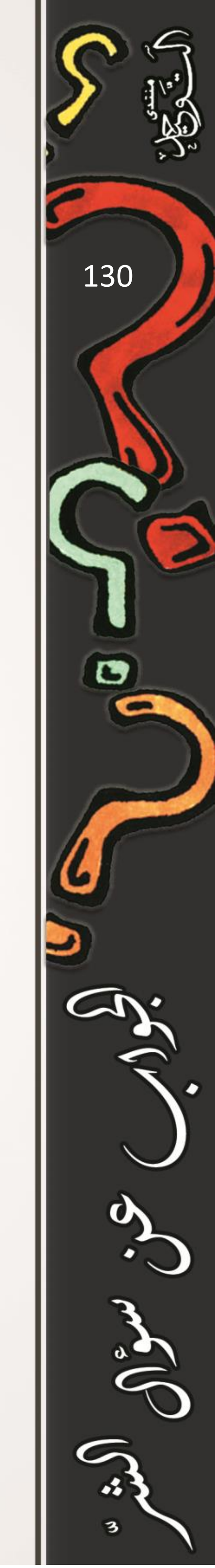
✓ وأصل الاعتراض أن يقال: إذا كان موجودًا فكيف يسمح بهذا..؟! وكيف يفعل هذا..؟! وكيف يترك ذاك....؟!

⇦ والصحيح أن مسألة وجود الخالق لا علاقة لها بأفعاله وحِكمها ومُراداتها.. ولذلك من يحاول إثبات الصفات قبل إثبات الذات يقع في هذه المغالطة المنطقية..

✓ فوجود الخالق قد ثبت بدليل منفصل.. بالنظر في مصنوعاته، ودلائل قدرته، وعلمه وحكمته ظهرا في مخلوقاته وتدبيراته.. وثبتت النبوة بالنظر في معجزات رسله و أنبيائه، وصدق دعوتهم و تأييد الله تعالى لهم..

⇦ لذلك فإن ثبوت وجود الله عز جل بدليل منفصل عن مسألة الحكمة، يجعل مناقشة مسألة وجوده تحت باب حكمته من اللغو الباطل.. ومن تكلف ذلك فكأنما يحاكي من رأى خللًا في الحاسوب، فنفى أن يكون صانعه الإنسان موجودًا..! أو شرخًا في جدار فزعم أن بانيه غير موجود..!

❀ ودلائل وجود الله ظاهرة لكل متأمل بعين العقل في سماء الوجود.. فقد دلت الحوادث على وجوده.. ودلت المصنوعات على قدرته.. ودل الإتقان على علمه.. ودل التدبير على حكمته.. ودل الكون على بديع صنعه..



⌘ والمنتدى يزخر بالموضوعات التي ناقشت أدلة وجود الله سبحانه وتعالى.. وليس هذا مقام بسطها...

✍ وهب أنك أثبتّ - ولا سبيل لك إلى ذلك - أن الحكمة والرحمة منتفية من الكون.. فهل يعني هذا عدم وجود صانع وخالق ومدبر له...؟! بل إن ذلك ظاهر البطلان.. فلماذا لا نفترض خالقًا صانعًا لا يتحلى بكمال الحكمة.. ولا بكمال الرحمة وإطلاقها.. فيكون الأمر أكثر منطقية..؟!

⇦ ولعل هذا يثبت بطلان الاستدلال بما خفي من مسائل الحكمة على نفي وجود الخالق.. فهم يحاولون إثبات صفات الصانع على كيفية يرتضونها.. قبل أن يقروا بوجود ذاته وخلقه للكون..

✓ وإنما كان ديدن العقلاء.. ومنهج القرآن في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى بمصنوعاته.. والاستدلال على صفاته وتقريرها من إتقان مخلوقاته وعجائب تدبيراته.. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾..

✍ ومسألة انفكاك الجهة هذه تفطن لها بعض كبار الملاحدة.. وأقروا أن الاستدلال بها على نفي وجود الخالق استدلال ضعيف للغاية..



✎ فدوكينز رغم مغالطاته المنطقية الكثيرة.. يرد في كتابه [God delusion] على من يستدل بهذه المسألة. .يقول في معرض رده على أونوين أحد العلماء الرياضيين المتدينين.. صاحب كتاب [احتمالات الله].. وهو كتاب يناقش وجود الله على أساس مقدمات باحتمالات مرجحة ونافية.. يعطي كلًا منها نسبة رياضية.. ووضع أونوين: [مسألة وجود الشر] ضمن الاحتمالات التي لا ترجح وجود الخالق..

✎ يقول دوكينز:

" من ناحية أخرى فإن أونوين يفكر بأن وجود الشر (خصوصًا الكوارث كالزلازل والتسونامى) هي أمور لا تدعم وجود الله..

✓ هنا يعاكس أونوين رأيي ولكنه يتماشى مع الكثير من علماء الدين غير المرتاحين.. [جمعية أُكسفورد للفلسفة] تعطي تعريفًا لمشكلة الشر [المعارضة الأقوى للإيمان التقليدي بالله]، لكنها فقط حجة ضد وجود إله طيب.. الطيبة ليست جزءًا من التعريف لفرضية الإله.. بل هي مجرد إضافة مرغوبة..

✓ في الحقيقة الناس الذين لديهم نزعة دينية لديهم أيضًا عدم تمييز مزمن بين الحقيقة وما يرغبون أن يكون الحقيقة.. مُسَلمة بسيطة عن إله شرير كالذي في كل صفحات العهد القديم.. أو لو لم يعجبك ذلك اخترع إلهًا شريرًا مغايرًا اسمه الشيطان.. اعتبر أن معركته مع الإله الخيّر في العالم..

✓ أو حلًا أكثر تطورًا: إله عنده أمور أهم من أن يحصر اهتمامه بالإنسان.. أو إله ليس مباليًا بمعاناة الإنسان.. ولكنه يعتبرها ثمنًا للخيار الحر يجب أن ندفعه.. كون خاضع للقوانين...



⇦ لهذا السبب لو أعدت عمل تمرين أونوين فلن تحرفني مشكلة الشر أو الأخلاق في أي اتجاه عن خط الصفر..
٥٠% في حالة أونوين "
انتهى كلامه..

✍ وبغض النظر عن آراء دوكينز في الفقرة السابقة.. فإنه يقرر بكل وضوح أنه لا يرى أي تلازم بين وجود الشر ومسألة وجود الخالق من عدمه..

❀ وإن كان وجود الشر وإحساس الإنسان به و فهمه له، لو تأملنا فيه دليل عقلي وجداني على معانٍ غير مادية تستلزم مُلهمًا لهذه المعاني التي لا تقوم بالمادة المجردة.. إذ الأمر متساوٍ من الناحية المادية.. بلا شك..



✍ رحمته ليست رِقّة...

⇦ قد تكون الرِقّة خلافُ الرحمة..

✓ وما أقبح فعل الدُبّة حين حطمت رأس صاحبها لتخلصه من الذباب.. ظنًا منها أن في هذا مصلحته..!

❁ فرحمة الله سبحانه وتعالى ليست كرقة البشر.. وبين الرحمة و الرقة فرق شاسع.. فحينما نرى الطبيب يشق صدر المريض ليستخرج الداء و يعالج المرض.. فإن ما يفعله هو عين الرحمة... وإن كان شق الصدر مستقبحًا.. وقد يوصف بمنتهى الوحشية في الأحوال الأخرى.. وهناك فارق بين الرقة التي تأخذك و أنت تشاهد شق صدره... وبين الرحمة التي تستحسن ما يفعله الطبيب في هذه الحالة..



❖ فوجب الانتباه: فإن أرحم الراحمين قضى بالموت على كل حي.. وبنى الأجساد ثم نقضها.. وقطع يد السارق في ربع دينار.. وقضى بالرجم على لذة ساعة..

✓ فلا يغترّ بحلمه مغترّ ولا يطمع في إمهاله طامع.. فإن سننه في الكون لا تحابي أحدًا.. وقد قضى على نبيه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق عليه.. بالابتلاء في جسده وعرضه.. وولده وماله..

⇦ وهذه دار الاختبار.. بُنِيَت على الفناء والبوار.. نعيمها منغّص.. وعيشها مكدّر.. وهي إلى زوال..



❀ وقد صح في الأخبار: ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً﴾..

✓ وملاحظة أسباب الخوف أدنى للأمن من ملاحظة أسباب الرجاء.. والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وهو الرحمن الرحيم..

⇦ فإنه ينبغي أن يُحذَر ممّن أقل فعله تعميم الخلق بالموت حتى إلقاء الحيوان البهيم للذبح.. وتعذيب الأطفال بالمرض.. وفقر العالم وغِنى الجاهل..

✓ فوجب الانتباه أن رحمته ليست رقة.. حتى يأخذ الإنسان بأسباب الحزم والعزيمة ولا يركن إلى الطمع والتمنى..

❀ فنسأل الله عز جل أن يهب لنا حزمًا يبتّ المصالح جزمًا..



ومُكَلِّف الأيام ضد طباعها..!

من الجهل أن يخفى على الإنسان مُراد التكليف.. فإنه موضوع على مخالفة الأغراض.. وينبغي للعاقل أن يأنس بانعكاس الأغراض..

✓ فإن دعى وسأل بلوغ غرض، تعبد الله بالدعاء... فإن أُعطِيَ شكر.. وإن مُنِعَ صبر.. فالدنيا لم تُجعَل لبلوغ الأغراض.. وقد قيل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فلا وجه للامتعاض.. ولا يحسن الاعتراض..

⇦ فمن قال: حصول غرضي لا يضر ودعائي لم يُستجَب، فكيف له ذلك بحال.. والله يقول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾..

✓ فعليه أن يسلي نفسه بأن المنع ليس عن بخل وإنما لمصلحة لا يعلمها، ليُؤجِر الصابر.. ويَعلَم الراضي.. وزمن الابتلاء يسير والأغراض مدخرة تُلقى بعد قليل..



ومتى ارتقى فهمه إلى أن ما جرى مراد الحق سبحانه.. اقتضى إيمانه أن يريد ما يريد.. وينبغي على العاقل أن يوطن نفسه على الصبر.. ويعلم أن ما حصل من المراد فلُطف.. وما لم يحصل فعلى أصل الخلق والجبلّة للدنيا..

وقد قيل:

" طُبِعتَ على كدر وأنت تريدها..

صفوًا من الأقذاء والأكدار

ومكلف الأيـام ضد طباعهـا..

متطلـب في الماء جذوة نار "



✍ ثم من يرى ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الجوع والقتل.. مع قدرة الناصر.. ثم يسأل في أُمه فلا يجاب.. ولو كان المسئول بعضنا لقلنا: [لِمَ تمنعُ ما لا يضرك]..؟!

⇦ قد ابتُليَ بموت عمه على الشرك.. وأبيه وأمه قبل الرسالة.. وبقتل عمه حمزة والتمثيل به أمام عينيه.. ويُفجَع في أولاده واحدًا واحدًا في حياته.. فلا يعود من بدر منتصرًا إلا ليواري ابنته التراب...

✓ ويعيش عيشة الفقر وربه الغني الكريم.. ويعيش عيشة الخوف والحصار وربه العزيز الحكيم...



❁ فينبغي أن يُفهم أن هذا أصل الدنيا..

❁ حتى لا يتمناها أحد.. ولا يحزن على ذهابها إنسان..



✍ وحكمة الله تخفى بعض أحيان...

✍ ومن نظر في أمر الحكمة وجد أن حكمة الخالق ظهرت حتى أقرّت بها العقول.. ثم خفي منها ما حارت به العقول..

⇦ فمن تأمل بناءه للأجساد متقنة على قانونه: الحكمة.. دلت على كمال قدرته ولطيف حكمته.. ثم عاد فنقضها.. فتحيرت العقول بعد إذعانها له بالحكمة في سر ذلك الفعل..

✓ فأعلمت أنها ستعاد للمعاد.. وأن هذه البنية لم تخلق إلا لتجوز في مجاز المعرفة وتبحر في موسم المعاملة.. فسكنت العقول لذلك..

✓ وأطرف منه إبقاء هَرِم لا يدري معنى البقاء.. وليس له فيه إلا مجرد أذى.. ومن جنسه تقتير الرزق على المؤمن الحكيم.. وتوسعته على الكافر الأحمق.. ومثاله اخترام شاب ما بلغ بعض المقصود بنيانه..

✓ وأعجب منه أخذ طفل من بين أكف أبويه يتململان ولا يظهر سر سلبه.. والله الغني عن أخذه.. وهما أشد الخلق فقرًا إلى بقائه..

❖ وفي نظائر لهذه المذكورات يتحير العقل في تعليلها فيبقى مبهوتًا..

❁ فإذا عجزت قوى العقل عن الإطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة الفاعل.. علمت قصورها.. عن درك جميع المطلوب.. فأذعنت مقرة بالعجز.. وبذلك تؤدي مقصود تكليفها..

✓ فلو قيل للعقل: قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بنى.. أفيجوز أن ينقدح في حكمته أنه نقض..؟! لقال: لأني عرفت بالبرهان أنه حكيم وأنا أعجز عن إدراك علله فأسلم على رغمي مقرًا بعجزي..

✓ لذلك فالفقيه من علل بما يمكن.. فإن عجز انطرح للتسليم.. هذا شأن العبيد.. فأما من يقول: لم فعل كذا..؟ وما معنى كذا ؟؟! فإنه يطلب الاطلاع على سر الملك.. وما يجد لذلك سبيلًا لوجهين:

❶ أحدهما: أنه سبحانه ستر كثيرًا من حِكَمه عن خلقه..

❷ والثاني: أنه ليس في قوى البشر إدراك حِكَم الله تعالى كلها..

✍ فلا يبقى مع المعترض سوى الاعتراض المخرج إلى الكفر: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.. والمعنى من رضي بأفعالي، وإلا فليخنق نفسه فما أفعل إلا ما أريد..

أفعاله..

كما ذاته وصفاته لا تشبه ما للمخلوقين..

كما قد ضل البعض في ذاته وصفاته.. كذلك ضل آخرون في أفعاله..

ففي ذاته.. لما رأى الفلاسفة إيجاد شئ من لا شئ كالمستحيل في العادات قالوا بقدم العالم.. وفي صفاته.. لمّا عظم عند المتكلمين الإحاطة بكل شيء.. قالوا بعلم الجُمَل لا التفاصيل.. ولما رأوا تلف الأبدان.. أنكروا إعادتها.. وكل من قاس صفة الخالق.. على صفة المخلوقين خرج إلى الكفر..

كذلك في أفعاله.. فإن من حمل أفعاله على ما يُعقَل في العادات.. رأى ذبح الحيوان لا يستحسن.. والأمراض تستقبح.. وقسمة الغِنى للجاهل.. والفقر للعالم.. أمرًا ينافي الحكمة..

✓ فهذا في الأوضاع بين الخلق.. فأما الخالق سبحانه فإن العقل لا ينتهي إلى حكمته.. أليس قد ثبت عنده [أي العقل] وجود الله ومُلكه وحكمته.. فتعَرُّضُه بالتفاصيل على ما تجري به عادات الخلق جهل..

⌘ ألا ترى أن أول المعترضين وهو إبليس.. كيف ناظر فقال أنا خير منه..

⌘ وقول خليفته أبي العلاء المعري:

" إذا كان لا يحظى برزقك عاقل.. وترزق مجنونًا وترزق أحمقًا

فلا ذنب يا رب السماء على امرئ.. رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا "

✍ فنسأله تعالى توفيقًا للتسليم.. وتسليمًا للحكيم.. ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.. أترى نقدر على تعليل أفعاله.. فضلًا عن مطالعة ذاته.. ؟! وكيف نقيس أمره على أحوالنا.. فإنا قد رأينا نبينا صلى الله عليه وسلم يَسألُ في أُمه وعمه فلا يقبل منه.. ويتقلب جائعًا والدنيا ملك خالقه.. ويقتل أصحابه والنصر بيد مرسله.. أو ليس هذا مما يحير..؟ فما لنا والاعتراض على مالك.. قد ثبتت حكمته واستقر ملكه..؟

✓ وقد قال بعض المحبين في هذا المعنى:

" ويقبح من سواك الفعل عندي.. فتفعله فيحسن منـك ذاكـا "



⇦ ولذلك فإن قياس الغائب على الحاضر.. وقياس صفات الله وأفعاله وذاته على المُشاهَد لنا هو سبب ضلال كثير من الناس..

❶ فمنهم من غلب عليه الحسّ فلم يشاهد الصانع.. جحدوا وجوده ونسوا أنه ظهر بأفعاله.. وأن هذه الأفعال لابد لها من فاعل..



❷ ومنهم من أثبت وجوده ثم قاسوا صفاته على صفات المخلوقين فشبهوا حتى قالوا ينزل إلى السماء أي ينتقل..

❸ ومنهم من ضل في أفعاله.. فأخذوا يعللون.. فلم يقتنعوا بشيء.. فخرج منهم من نسب فعله إلى ضد الحكمة..! تعالى الله عن ذلك..

⇦ وإنما يكون الجواب لمن أراد التوفيق والصواب أن يقال: إذا أقررنا أن ذاته ليست كالذوات وصفاته ليست كالصفات.. فكذلك أفعاله لا تقاس على أفعال العباد.. فإن أحدنا لو فعل فعلًا لا يجتلب به نفعًا ولا يدفع عنه ضرًا عُدَّ عابثًا.. وهو سبحانه أوجد الخلق لا لنفع يعود إليه.. ولا لدفع ضر.. إذ المنافع لا تصل إليه والمضار لا تتطرق عليه..

✎ فإن قال قائل: إنما خلق الخلق لينفعهم.. يبطله أن يقال أنه خلق خلقًا منهم للكفر وعذبهم.. وتراه يؤلم الحيوان والأطفال وهو قادر أن لا يفعل ذلك...

✎ فإن قال قائل: أنه يثيب على ذلك.. قلنا وهو قادر على أن يثيب بلا هذه الأشياء.. فإن السلطان إذا أراد أن يغني فقيرًا فجرحه ثم أغناه.. لِمَ على ذلك.. لأنه قادر على أن يغنيه بلا جراح..

✓ لذلك فالقاعدة هنا أنه لا تطلب تعليلات أفعال الله كلها.. والصواب التعليل لما يمكن والتسليم لما يخفى.. وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى لا تقاس أفعاله على أفعالنا.. ولا تُعلَّل إلا فيما ظهر لنا.. والذي يوجب التسليم أن حكمته فوق العقل فهي تقضي على العقول، والعقول لا تقضي عليها.. ومن قاس فعله على أفعالنا.. غلط الغلط الفاحش..



⇦ ولهذا قال المعتزلة: كيف يأمر بشيء ويقضي بامتناعه..؟! ولو أن إنسانًا دعى إلى داره ثم أقام من يصد الداخل لعِيب.. وقد صدقوا فيما يتعلق بالشاهد.. فأما من أفعاله فلا تعلل.. ولا يقاس بشاهد.. فإنا لا نصل إلى معرفة حكمته..

✎ فإن قال قائل: فكيف يمكنني أن أقود عقلي إلى ما ينافيه..؟! قلنا: لا منافاة لأن العقل قد حكم بالدليل الجلي أنه حكيم وأنه مالك.. والحكيم لا يفعل شيئًا إلا لحكمة .. غير أن تلك الحكمة لا يبلغها العقل..

✓ قد يتبادر سؤال: إذا كنتم تقولون صفاته وأفعاله لا تقاس على مثيلاتها لدى المخلوقين.. فكيف تثبتون حكمته إذ أنتم تقولون بما أنه خلق حكمة للبشر فهو متصف بها..؟!

❀ يجيب ابن القيم: الرب سبحانه وتعالى لا يدخل مع خلقه في قياس تمثيل ولا قياس شهود يستوي أفراده.. فهذان الفرعان من القياس يستحيل ثبوتهما في حقه.. وأما قياس الأولى فهو غير مستحيل في حقه بل هو واجب له ومستعمل في حقه عقلًا ونقلًا..

⇦ أما العقل.. فمثيل ذلك استدلالنا أن معطي الكمال أحق بالكمال.. ومن جعل غيره سميعًا بصيرًا عالمًا حيًا قادرًا رحيمًا محسنًا فهو أولى بذلك وأحق منه ويثبت له من هذه الصفات أكملها وأتمها..

⇦ فكل كمال ثبت للمخلوق غير مستلزم للنقص فخالقه ومعطيه إياه أحق بالإتصاف به.. وكل نقص في المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه كالكذب والظلم والسفه والعيب.. بل يجب تنزيه الخالق عن كل النقائص والعيوب وإن لم يتنزه عنها بعض المخلوقين..

✓ وأما النقل فهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾..

✓ ومقصود الآيات.. أنه إذا كان العجز والعيب والنقائص مستنكرة في حقكم.. فكيف تنسبونها لله..؟!

⇦ وفي الحديث أمثال ذلك.. ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم: [وَأَنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.. وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ وَقَالَ لَهُ: اعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ.. فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِهِ.. فَأَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ..؟!][1]

✓ فالله سبحانه وتعالى لا تُضرَب له الأمثال التي يشترك هو وخلقه فيها.. لا شمولًا ولا تمثيلًا.. وإنما يستعمل في حقه قياس الأولى كما أسلفنا..

---

[1] رواه الترمذي [٥/ ١٤٨] ٢٨٦٣.. وصححه الألباني رحمهما الله تعالى..



من لم يحترز بعقله.. هلك بعقله..

لا بد أن تعلم أن لعقلك حدًا.. وإلا أوردت نفسك المهالك.. وحملته ما لا طاقة له به.. ولهذا فإن الإسلام أمر بتفويض العلم إلى الله سبحانه وتعالى فيما لا طاقة للبشر على إدراكه..

✓ كالنظر في ذاته وصفاته تعالى.. فإن الإنسان لا يعرف شيئًا عن شيء لا بداية له.. ولا يملك إلى معرفة ذاته وصفاته سبيلًا.. وكذلك النظر في أفعاله.. فإنه لا يدري وجه الحكمة في النقض بعد البناء.. ولا في الإعدام بعد الإيجاد.. فوجب التسليم للإقرار العام بـأنه الحكيم العليم..

⇦ فالأولى للعاقل أن يكف عن التطلع إلى ما لا يطيق النظر إليه.. ومتى قام العقل فنظر في دليل وجود الله بمصنوعاته.. وأجاز بعثة نبي واستدل بمعجزاته.. كفاه ذلك أن يتعرض لما قد أُغنِيَ عنه.. ففي الأولى الاحتراز وفي الثانية الهلاك..

✓ والاحتراز من العقل بأن يقال له: أليس قد ثبت عندك أنه مالك وأنه حكيم..؟! وأنه لا يفعل شيئًا إلا بحكمة..؟! فيقول بلى.. فيقال له: فنحن نحترز من تدبيرك الثاني بما ثبت عندك في الأول.. فلم يبق إلا أنه خفي عليك وجه الحكمة في فعله.. فوجب التسليم له لعلمنا أنه حكيم.. حينئذ يُذعِنُ ويقول: قد سلّمتُ..

❀ لذلك.. فهؤلاء المعترضون على أفعال الخالق بعقولهم وبداهة نظرها وقياسها على الظاهر.. لو أنهم نظروا نظرًا أبعد بعقولهم لاستخرجوا مقتضى ما عليه العقل.. وهو أنه قد ثبت الكمال للخالق وانتفت عنه النقائص.. وعلم أنه حكيم لا يعبث.. فلم يبق إلا التسليم لما لا يعقل.. ومن ادعى خلاف ذلك.. فقد أتى بالكفر المحض.. الذي يزيد في القبح على الجحد.. فنعوذ بالله من اعتقاد الكمال لتدبيرنا حتى إذا انعكس علينا أمر عدنا إلى القدر بالتسخط..!



لماذا يبتليه

وهو قادر على إثابته دون إبتلاء..؟!

س: إذا كان الله لا يتضرر بمعصية العبد ولا ينتفع بطاعته.. ولا يتوقف إحسانه على فعل يصدر من العبد.. وهو قادر على إثابته وإدخاله الجنة بلا توسط تكليف.. فلماذا يكلفه..؟

توضيح في البداية: كون الله سبحانه وتعالى قادر على الإثابة دون تكليف.. وإدخال الجنة بلا اختبار.. وكونه لا تضره المعصية.. ولا تنفعه حسنات العباد.. كل هذا مقرر ولا خلاف عليه بحال من الأحوال..

لكن: تركُ التكليفِ.. وترك العباد هملًا كالأنعام لا يؤمرون ولا يُنهون مناف لحكمته وحمده.. وكمال ملكه وألوهيته.. فيجب تنزيهه عنه.. ومن نسبه إليه فلم يقدره حق قدره..

وتوضيح ذلك: أن الله تعالى أنعم على العباد ابتداء بالإيجاد وإعطاء الحياة والعقل والسمع والبصر والنعم التي سخرها لهم.. وإنما فعلها من أجل عبادتهم إياه وشكرهم له كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ .. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ .. أي ما يصنع بكم ربي لولا عبادتكم إياه.. فهو لم يخلقهم إلا لعبادته.. فكيف يقال بعد ذلك أن تكليفه إياهم عبادته غير حسن في العقل.. إذا كان قادرًا على إثابتهم دون عبادته.. ؟!

✓ وتوضيح ذلك: أن قدرته تعالى على الشيء.. وتقدير خلافه.. لا ينفي حكمته البالغة من وجود هذا الشيء.. فإن الله تعالى يقدر على مقدورات لا يفعلها لحكمة.. كقدرته على قيام الساعة الآن.. وإرسال الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وقدرته على إماتة إبليس وجنوده وإراحة العالم منهم..

وقد ذكر الله تعالى قدرته على ما لا يفعله لحكمته في غير موضع من القرآن فقال: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ .. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ .. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ..

فهذه مقدورات له سبحانه وإنما امتنعت لكمال حكمته.. فهي التي اقتضت عدم وقوعها.. فلا يلزم من كون الشيء في قدرة الله تعالى أن يكون حسنًا موافقًا للحكمة.. بل تكون الحكمة هي عدم إمضاء الله تعالى له.. ووضعه على الصورة التي تراها..



⇦ وهذا إنما ينشأ من التفريق بين ما يتعلق بالحكمة و ما يتعلق بالقدرة.. حيث الأول يقتضي الحكمة والعناية.. وهو ما يجريه الله تعالى في الكون باختلاف صوره من موافقته لعقولنا أم لا.. وانعدام التفريق بين:

[متعلق الحكمة] وهو فعل الله سبحانه وتعالى الجاري في الكون، و: [متعلق القدرة]..

⇦ ومنه ما لا يجري في هذا الكون وإن كان مقدورًا لله سبحانه وتعالى [هو الباب الذي أُتى منه المعترضون هنا] ولو قدر أن الأمر كما يقولون، وهو أن يترك العبد لزمام الاختيار يفعل ما يشاء جريًا على رسوم طبعه المائل إلى لذيذ الشهوات ثم يجزل له العطاء من غير حساب، وظنهم أن هذا مستحسن للعقل وأفضل للإنسان.. فإن كلامهم هذا من أبطل الباطل.. يبطل عقلًا ونقلًا..

✓ أما العقل فهو أقبح شيء وأعظمُ نقص في الآدمي.. ولو ترك لرسوم طبعه لكانت البهائم أكمل منه.. ولم يكن مكرمًا مفضلًا على كثير من خلقِ الله.. ولصار شرًا في الطباع من الذئاب والخنازير والحيات..

✓ وأما الشرع فالله أنكر هذا الأمر فقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ .. وأخبر أن الحكمة تقتضي الحساب فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ .. ثم أخبر قائلًا: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ .. لأن مقتضى حكمته وربوبيته وإلهيته عدم العبث.. والخلق والإثابة بدون حساب..

✎ ومثيله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.. والحق هنا هو إلهيته وحكمته وأمره ونهيه ووثوابه وعقابه.. فمصدر ذلك كله الحق.. وبالحق وجد وبالحق قام.. وغايته الحق وبه قيامه.. ولو خالف هذا الوجه من الأمر والنهي والثواب والعقاب لكان عبثًا وباطلًا.. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]

[1] مختصرًا من كلام إبن القيم.





لمتابعة الموضوع على
منتدى التوحيد



لمراسلة/
د. حسن المرسي